أنور الحيداوي

رواية

أمل و موت

الساعة الرابعة عصرا و الجو كأنه في هدنة هذا اليوم..فصل الشتاء يحل بلطف هذا العام ،في البلدة الصغيرة هوبتاون . و بإحدى.
منازلها المتواضعة يقطن الفتى لابرينث في استقرار و رتابة حياة لا تدعو للتفاؤل بالنسبة له ،يعيش مع أمه بمنزلها أمه التي تعمل أحيانا
و هناك وغالبا هي بالمنزل ..أما هو فيتخبط بين الدراسة بالجامعة و العمل بإحدى المقاهي ..ليس كنادل لطالما كره مخالطة البشر كثيرا
،مهنة نادل و ما تتطلبه من نشاط و لباقة لا تناسبه لذا فهو فقط يكتفي بالداخل يتولى التنظيف ..يحاول أن يكسب ما يساعده من هنا و
هناك على معيشته هو و أمه صوفيا ..
اليوم هو في راحة او هكذا اختاره بلا مبالاة ..اتخذ القرار بأن لا يذهب لا للجامعة و لا للعمل في الليل ..فقط يشعر بأنه يريد ان يستلقي
في المنزل و يأخذ أحد كتبه المفضلة و يقرأ لساعات متواصلة دونما إعطاء أي أهمية للوقت أو للحاجيات البشرية ..إنه يغرق في بحر
الكلمات فقط ..تساعده الكتب على تجنب الصراع مع نفسه . ذاك الصراع المضني الذي يتواتر عليه في أوقات كثيرة ..

لا تراوده أي رغبة في فعل أي شيء يمكن لشاب في مثل عمره أن يريده ..هو هكذا على الدوام ..لكنه للكتب و الروايات رفيق، أكثر
من أي شيء آخر ..حتى أمه لا يجاورها كثيرا ..رغم أنها الوحيدة معه في المنزل إلا أنه يكتفي بغرفته معظم الوقت . حتى الأكل غالبا.
ما يأتيه حتى باب غرفته ،فأمه تكن له الحب الوافر كونه وحيدها و كونه يتيم الأب بعد إنتحار هذا الأخير ..لكنه في نفس الوقت لا يكن
لأمه عظيم المشاعر أو بالأحرى لا يظهر الكثير ..مبهم التصرفات دائما ،حتى هو لا يعرف حقيقة شعوره اتجاها،هو فقط يحترمها..هذا
ما توصل إليه استنتاجه حتى الآن..
دقات خفيفة على الباب من أمه
_لابرينث.. هنا بعض القهوة
لا رد و لا شكر ،إستدارت مباشرة بعد وضعها للصحن لأنها معتادة الأمر وكذالك هي لا تعتبره شيئا سيئا منه ، تعرف طبعه و تعلم
أنه يهتم بها ..و أنه قليل الكلام ..
صوفيا إمرأة خمسينية أرملة منذ ثمان سنوات ..شعرها لا يزال محتفظا بسواده، حسنة الوجه..بيضاء بأنف دقيق و عينين كبيرتين و
حواجب رقيقة بشفتين جميلتين متوسطتي الإمتلاء و قوام معتدل ..

..لا زالت محط جذب ، امرأة سيتمناها الكثير من الرجال ..لكنها على ما يبدو مرتاحة بالوضع هكذا ..رغم أن في بعض الأوقات تراودها بعض الأفكار..لكنها على ما يبدو مرتاحة ..
نهض من كرسيه ببطأ و رزانة ، وضع الكتاب فوقه ، قامة ممشوقة تميل نحو النحافة ، أسمر اللون سمرة داكنة ،نعم جينات الأب و ما
إلى ذالك..
تعبيرات وجهه لا توحي بشيء محدد لكن لمسة الهدوء و التشاؤم واضحة على محياه ،في سنته العشرين، أسمر اللون .. مليح الوجه لحد ليس بعيد ،له ملامح
السود المعروفة أنف عريض إلى حد ما و شفتان ممتلئتان قليلا ..شعر أملس عكس العادة و شديد السواد ..
بملابس سوداء ..تزيد الأمور حزنا ..فتح باب الغرفة التقط الصحن و عاد للداخل ..
وضع الصحن فوق مائدته الصغيرة ..الغرفة صغيرة و مرتبة جدا كل شيء منظم لا مجال لأي شيء مبعتثر ..هكذا أحب غرفته دائما
..حسنا ، فقط يسمح لكتبه بالإستلقاء هنا و هناك ، لكنه يوضبها بعد مدة قصيرة ..تناول قهوته السوداء بقطعتي سكر ..هكذا أعجب بها
دائما ..قدح كبير منها ..لا يحب تلك الأكواب الصغيرة الأنيقة التي لا تحمل سوى رشفة بقاعها ..

يعجبه الكوب الذي يروي لهف مدمن قهوة مثله ،استوى على كرسيه.. وعاد لكتابه المنهمك به ..رشفة كل قليل من الوقت . أناقة و.
هدوء و حزن ..الهدوء طاغ لكن الحزن هناك ..و لابرينث يقرأ بلامبالاة لهذا و لا لذاك.
اليوم التالي صباحا ذهب لابرينث للجامعة الغير بعيدة عنه مشيا على الأقدام ..في ملابسه السوداء ،من سروال رياضي و جاكيت جلد ..
بالنسبة للحياة بالجامعة فهي جد مملة بالنسبة للابرينث ..فقط ذهاب و رجوع ..متخصص في الفلسفة في سنته الأولى ،يتمحور ملخص
حياته بالجامعة على طريق الذهاب والرجوع و الغرق في التفكير خارج كل الإطارات في قاعة المحاضرات ..لا يزامل صحبة هناك ،لا صديق و لا رفيق ..لكنه لا يبدي هذا لأي مشاهد ..أي أن من يشاهده لن يشعر بشفقه حوله أو ما شابه . فهو يمشي بإستقامة و.
فخر و تؤدة ..يفرض إحترامه على من حوله،لكنه يظل وحيدا رغم ذالك ، لكن لا يبدي الكثير من الإهتمام لذالك، لأنه لا يبالي ..

عاد من الجامعة للمنزل ،هذه المرة حادثته أمه
-لابرينث ها أنت ذا
-مرحبا أمي
-أظن أنك لم تنسى أننا ذاهبان للكنسية اليوم
قال بلا مبالاة
-نعم أظن ذالك
-حسنا إذن ، الساعة الخامسة.

في الجهة الأخرى على بعد أربع شوارع غربا من منزل لابرينث تقطن ستيلا ..فتاة جميلة ..بثغر ساحر و بشرة بيضاء ..و وجه جميل
بريء ..يملأها النشاط و الحيوية
تبلغ من العمر تسعة عشرة سنة ..طالبة جامعية ،تخصص علم النفس ..تقطن مع اسرتها المكونة من والديها ..
أبوها مايكل يعمل شرطيا و أمها أنجلينا تعمل طبيبة مساعدة .
.لدى ستيلا أخت تصغرها سنا و هي مكايلا مراهقة في سن الثالثة عشرة
..في منزل يوحي مظهره بأن مالكيه من العائلات المتوسطة .. منزل يعمه النشاط و المرح بحياة اعتيادية ..
ستيلا خرجت من الحمام بعد أن أخذت دشا ..تنشف شعرها البني الكستنائي و المموج ،شعر ساحر يسر الناظرين ، الأب و الأم على
طاولة الفطور ..
-ستيلا ..الفطور جاهز و أسرعي كي لا تتأخري على حصتك الدراسية
-قادمة في الحال
صوت أنثوي جذاب و مفعم بالنشاط حنجرة رقيقة لطيفة كأنها مغنية أوبرا مع إيقاع القيثارة ..

هي في غرفتها تتزين و تلبس ملابس خروجها ، و ها هي تخرج من غرفتها و تتجه نحو السلالم بخطوات رشيقة و إطلالة زاهية وألوان مختلفة اليوم اختارت مزيجا من الزهري الفاتح و الأبيض .. ما إن اقتربت من مائدة الطعام حتى خاطبها أبوها

-تبدين براقة كالعادة عزيزتي

أجابته مع ضحكة خفيضة محتشمة

-أشكرك أبي

قدمت للكل قبلات الصباح ، وجلست لتشاركهم الطعام .

القليل من الدقائق التي لم يسمع فيها صوت ستيلا ، كان المتحدثان على الطاولة هما الأب مايكل و الأخت الصغرى مكايلا ، يتحدثان

حول مشروع ما تقوم به ماكايلا بالمدرسة ..خاطبت الأم إبنتها الكبرى و مع ذالك فقد شمل حديثها الجميع..

-ستيلا سنذهب اليوم مع الخامسة إلى الكنيسة

بالطبع الكل صمت اقتناعا بقرار أنجلينا..فهي لطالما كانت إمرأة مسيحية تحب دينها و تحب أن تكون عائلتها متشبعة ببعض منه .
ستيلا كانت آخر من وصل إلى المائدة و أول من نهض منها ، تعاتبها أمها دائما على أكلها المتسرع ،لكنها لا زالت على عادتها .
إنطلقت للجامعة في طريقها، إصطحبت معها رفيقتها لوسي التي في نفس حيها ،تبادلا قبلات التحية و و مشتا يدا في يد كأنهما طفلتان
في سن السابعة ..و على بعد قليل لاقتا ميري ثم على أبواب الجامعة جون، خليل لوسي و براندن خليل ميري ..نعم إن ستيلا ليس لها
خليل ، ليس لأنها غير مرغوبة ، بل لأنها فقط لا تريد و مكتفية بالصداقة و لا تعطي لأمر المواعدة الكثير من الاهتمام .
يوم دراسي عادي لستيلا ..عادت بعدها للمنزل ..تناولت الأسرة الغذاء..بعدها زارت ستيلا أعز صديقاتها لوسي ..
دردشتا كثيرا و درستا قليلا ..حديث فتيات و ثرثرة معهودة ..و لا بد من أن تحدث لوسي ستيلا قليلا عن حبيبها جون ..غالبا ما تفعل
ذالك ..

بالتأكيد تبادلها ستيلا الحديث عنه و القليل من النصائح هنا و هناك رغم أنها عديمة الخبرة في المجال ،إلا أنها مؤمنة بالصداقة بشكل
قوي و هؤلاء الأربعة هم أصدقاءها.
في حوالي الرابعة ،عادت ستيلا للمنزل ..ثم بعد ساعة ، إستعد الثلاثة للذهاب إلى الكنيسة و إنطلقو متوجهين نحوها ،إنها ليست بعيدة
كثيرا ..
البلدة صغيرة لذا فكل شيء تقريبا قريب أو ليس بالبعيد جدا .
وصلت الأسرة إلى الكنسية و جلسو في إحدى المقاعد بالوسط .
بعد قليل انطلق صوت من مقاعد الجانب المقابل
-أنجلينا!
-أوه! صوفيا يا لها من مفاجأة
-مسرورة بهذه الصدفة ..
إنتهى الحديث بسرعة ..الأمهات توفر الحديث إلى ما خارج الكنيسة ..الآن وقت التضرع .
لكن ..ما أن أبصرت ستيلا صاحبة الصوت حتى جذبها شخص يجاور تلك المرأة ..تسائلت ستيلا في نفسها أنه ربما قريبها أو إبنها
، فرغم اختلاف اللون فإن هناك تشابه ..لا تعلم ستيلا لماذا كان هناك وقع ما عليها عندما رأته ..نوع من التأثير المبهم ..لم تطل النظر
المرة الأولى لكنها عادت من جديد للنظر إلا أنه لم يكن واضحا لها ، لأن المرأة تعيق النظر المباشر

(لكن لماذا يبدو هذا الفتى شاردا بشكل غريب حتى أنه لا يزيح نظره عن نقطة واحدة و لا تحركه أصوات ..أهو يندمج روحانيا أم أنه فقط
شارد و هذا ما يبدو ملاحظا)
تسائلت ستيلا في نفسها .
فهي لطالما كانت محبة لإستكشاف البشر و تصرفاتهم و حركاتهم و محاولة تخمين مشاعرهم ..لهذا اختارت تخصص علم النفس ..ولهذا
لها أحلام كبيرة تطمح إليها في المجال .
وفتى كلابرينث هو محط جذب لها بتصرفاته الهادئة و الباردة ، كما أنها تشعر بالملل ووجدته مصدر انشغال جيد لها .
صارت تخطف نظرات مرة تلو أخرى بتقطع كي لا تثير ريب السيدة الجالسة بمحاذاته ، لكنها تبدو مندمجة مع الطقوس.
أصبحت تنحني
للأمام بطريقة طريفة و تحاول النظر إليه .. لاحظت أمها حركاتها الغريبة
-ستيلا ما الذي تفعلينه ألا ترين أن عليك الهدوء و إظهار بعض الإحترام للمكان.
-آسفة أمي
هكذا إنتهت سلسلة النظرات لكن لم تنتهي سلاسل الأفكار

تتسائل ستيلا في نفسها من هذا الشخص ! وما الذي يجذبني إليه و لماذا يبدو لي غامضا و لماذا هدوءه هذا يبدو جذابا رغم أنه أكثر شخص
غير ملحوظ هنا، حتى الشمعدان قد يبدو أكثر إثارة للإنتباه منه ، لكن لماذا أثار إهتمامي !
كما أنه يبدو وسيما بعض الشيء و هادئا !
شروده كان محط أنظار ستيلا وحدها فقط في هذه القاعة ..إنه شخص بنظرات ثابتة و عينين غارقتين في مكان ما مجهول .
إنتهت مرحلة التساؤل بالنسبة لستيلا ..و الآن تقودهم أقدامهم إلى خارج القاعة ، و طبعا إذا كانت تعرف أمها حق المعرفة فالآن قد حان
وقت العناق و تبادل التحايا بين المرأتين .
-صوفيا أنظري إلى نفسك تبدين في حال ممتازة.
-أشكرك عزيزتي و انت تبدين في غاية الجمال.
-أقدم لك إبنتي ستيلا و مكايلا.
-أنظري إليهما إنهما في غاية الجمال ..قد مضى وقت طويل لم أراهما فيه ..منذ أن كانتا صغيرتين.
-نعم فقد مضى وقت طويل !
-آه و قد نسيت إعذريني فذاكرتي ليست بجودة صحتي !
أقدم لك إبني لابرينث

كان لابرينث بعيدا بضع خطوات عن مكان الحديث فإقترب عند سماع النداء
-أقدم لكما إبني لابرينث ، هذه صوفيا و مكايلا و ستيلا قدمتهم له بالتتابع .صافح و أعرب عن شرف لقاءهم و ستيلا كانت آخر واحدة خاطبها .
-سررت بمعرفتك.
دون أن يطيل النظر ، دون أن يعير الكثير من الإهتمام ،فقط إلتقت الأعين للحظة وجيزة ..حتى أنه لم يبتسم ، تعابيره جامدة و عيناه
توضحان الكثير المبهم ،
(قطعا إنه ليس مثل فتيان البلدة) أكدت ستيلا لنفسها .
أكملت المرأتان حديثهما ، ستيلا تقف بمحاذاة أختها قرب المرأتين ، لابرينث أعطى القليل من المسافة للسيدات و حول اتجاه نظره قليلا
، يداه في جيبي سرواله الأسود، كان يلبس بذلة سوداء دون ربطة عنق ، ثم عاد لشروده.
تسائلت الفتاة من جديد و تعجبت لطور هذا الفتى ، لماذا يبدو شاردا بشكل عجيب، لماذا يبدو غير مبال بما حوله ، كأنه ليس من هنا ,
، و تعجبت لنفسها كيف غرقت في التفكير بهذا الفتى الغريب عنها و الذي لم تعرف سوى اسمه قبل لحظات .
أما لابرينث، ذهنيا، فهو غير موجود معهم على الإطلاق.

ربما كان يفكر بأشياء معينة تخص هذا المعبد، ولماذا هو على هذا الشكل ، لماذا هو بالغ الهدوء من الداخل ، و هل هدوءه و صدى
الصوت هو الذي يسكر حواس الناس داخله، و هل فعلا الناس يؤمنون بكل هذا، أم أنها فقط التقاليد ..
أو ربما كان يفكر في كيفية نشوء لباقة البشر المصطنعة هذه، وما الفائدة منها ، و هل هذا يعتبر معيارا يظهر به الإنسان مدى شهامة أخلاقه.
كل شيء وارد الحدوث ، فهذه هي طبيعته ، لكن الأكيد أنه لم يكن حاضرا بذهنه هناك و لم يكن يفكر بستيلا .
عادت عائلة ستيلا للمنزل ، لكن فضول الشابة لم ينقطع ، إنها تتمنى لو تستطيع دراسته، أن يكون مريضها الأول رغم أنها لا زالت
مبتدئة في المجال و ما زالت تتعلم الأوليات فيه .
بدأت تفرغ رأسها من الموضوع ، و عادت لأسلوب عيشها ، أخذت هاتفها و استلقت على السرير ، و إنطلقت تتصفح مواقعها
الإجتماعية المفضلة.. رسالة من لوسي
- هل إنتهى الأمر
- نعم، الأمر الأمر كان عاديا، أنا متعبة قليلا..

إن لابرينث الآن بالمنزل يحتسي قهوته السوداء ، توقف قليلا يتأمل ذاك السائل الأسود ، هذه المرة لم يكن يحمل كتابا، فقط يفكر
..يفكر في مواضيع مشتتة غير محددة المعالم .. ينتقل من إفتراضات هنا و تساؤلات هناك .
و تأمل في نتائج لموضوع مغاير..

إنه أمر مرهق، لكنه لا يستطيع منع نفسه .
رشفة أخرى ، يجلس على كرسيه رافعا رجليه من الأرض إلى الكرسي، ضاما ساقية إلى صدره .
لكن فجأة ، ظهرت صورة في مخيلته .. إنها ستيلا !
نعم ستيلا ..لا يعلم لماذا أتت صورتها الآن..لكنه توقف قليلا عند صورتها و أرجع
لذهنه الحوار المقتضب الذي دار بينهما ..مرحبا ..سررت بمعرفتك ،إنتهى .
فكر في أنها فتاة جميلة و أنيقة و حلل نظرتها إليه..و خيل له أنها نظرة تساؤل ..نظرة فضول ..
لكن هذا لا يهمه كثيرا ..تناسى الموضوع بعد أن أعطاه القليل من الدقائق .
الآن تناول كتابا من مكتبته الحائطية الصغيرة و المرتبة بشكل جميل ، تحوي ما يقارب المئة كتاب ..دائم التجديد فيها، يستبدل ما قرأ
بكتب جديدة،
لكن عددها تقريبا يبقى ثابتا ، كتابه لهذه السهرة ، كتاب تراجيدي بعنوان "سواد مميت"

التراجيديا نوع لابرينث المفضل ،أو الصنف الأول بالنسبة له، إنها أكثر نوع أدبي يقرأه،
حوالي ثلثي مكتبته كتب تراجيدية من روايات و قصص و كتب تتحدث عن بؤس البشرية ..كل شيء يتعلق بالحزن و البؤس و الموت و حياة الناس المعقدة و النفسيات المنهارة فهو يهمه.
هذا الكتاب "سواد مميت " الذي بين يديه، هو لكاتب منتحر ، و ربما هذا هو سبب إشتراءه له ، فهو لا يشتري كتابا إلا و وضع عنه
تحريات، لا يحب أن يضيع وقته في كتاب لن يعجبه، يستكشف صاحب الكتاب و حياته و ما الذي سيقدمه في كتاب من خلال تجاربه، أي
أنه يلجأ للتحليل و البحث و الإفتراض و التنبؤ ..ليقرأ كتابا لا يتحدث سوى عن البؤس و الموت .
ذكره صاحب الكتاب المنتحر بأبيه ..
كان في سن الثانية عشرة ، مصدوما، مندهشا بفعلة بأبيه ، يتذكر ذالك اليوم جيدا و كيف أن أمه لم
تتركه يدخل غرفة أبيه و تصرخ في وجهه بقوة مرعبة و الدموع تغرق وجهها .
-لابرينث إبتعد ..إبتعد ...إبتعد!
- ما الذي يحصل هناك و ما الذي حصل لأبي!
ليس هناك جواب سوى الأمر بالإبتعاد و النهي عن الإقتراب و نهر دموع من أمه .

يتذكر ذالك اليوم جيدا.. و كيف أمضى يومه بغرفته و قد أقفلها يسمع صراخ أمه ولا يستطيع الإقتراب ..أصوات أقدام الجيران تدخل
المنزل و تواسي الأم ..صراخ من أمه أوغيرها ..صخب .
.صوت سيارة الإسعاف تركن بجانب المنزل ..يعرف الآن أن أباه قد حصل له مكروه ما ..و أحس بأنه قد لا يراه مجددا .
لكنه لا يزال لا يعرف السبب ، حتى سمعه في المدرسة من أبناء الجيران .. "أبوه إنتحر"..كلمة عار تأتي من طرف فئة مصدومة ،و كلمة
مسكين تأتي من جهة المشفقين ، وكلمات أخرى من المتنمرين ..
لكنه صامت و لا يبالي ..و كأنه لا يستوعب الأمر .. وكأنه في مكان ما آخر ..كأنه ليس هنا !
بعد أيام من تلك الحادثة إنتقلو ،هو و أمه إلى "هوبتاون" .. تاركين الماضي خلفهم ..محاولين بدأ حياة جديدة .
بعد أن إستغرق لابرينث في التفكير في الماضي ..عاد إلى الحاضر وجد نفسه يحدق في إحدى صفحات الكتاب .
و أول كلمة وقعت عليها عيناه كانت كلمة "أمل"
تعجب من الأمر ..و كيف تأتي هذه الكلمة في وسط حديثه الداخلي حول الموت ،وفكر كيف أن هاتين الكلمتين لا تجتمعان ..و لماذا أتت
في مثل هذا الوقت ..
أهي إشارة لبعث التفاؤل ؟

لا ،فهو لا يؤمن بهذا الهراء الذي إسمه الأمل ، كما لا يؤمن بمجموعة من المفاهيم التفاؤلية ، إنه يعتبرها فقط أحلاما كاذبة و خرافات
إخترعها الإنسان من أجل العيش لغاية معينة ، تلك الغاية بحد ذاتها لا وجود لها ..لذالك فهي فقط تساعده على الإستمرار في العيش. فكر
في كم تفاهة الإنسان ، وكم هو واه و ضعيف يتشبث بما لا وجود له.
هو يؤمن بالألم بالحزن و بالموت ، لأنها أشياء واقعية و تحدث باستمرار ، و الكل يعرفها و يخافها و يهابها ..
يحاربها أو يهرب منها ..لماذا! ببساطة لأنها موجودة و تبرهن فاعليتها وقوتها في كل مرة .
يعرف كذالك أن حياته الخاصة بمثابة تراجيديا لا تختلف عن القصص التي بالكتب ،إلا أن حياته أكثر مللا من أن تكتب و تباع لعشاق
الألم و الواقعية مثله .. لكنه إن وجد قصة مملة مشابهة لحياته ، قد يشتريها ..فهو مخلص لهذا النوع الفني ..يقرأ كل ما يتضمنه من أقسام
.
عاد للكتاب من جديد ..(اللعنة كم أنا شديد التفكير و السرحان في شتى المواضيع !) خاطب لابرينث نفسه .
و انطلق يلتهم صفحات الكتاب رهيب العنوان ، يقرأ دون توقف، و يرتشف جرعات أفيونه الأسود الخاص .
يبتلع الكلمات دون توقف و قد يبقى في هذا الوضع لساعات.

في اليوم التالي ..
إستيقظ لابرينث باكرا ، رغم انه لم ينم كثيرا ،إلا أنه لا يعير الكثير من الاهتمام لمسألة الراحة ، النوم ليس بالشيء المهم بالنسبة له ، و القليل
من الساعات تكفي .
أكل فطوره و إنطلق للجامعة .. أمضى الساعات هناك بإعتيادية و ملل ، ذاكرته تلتهم المعلومات و عقله شارد كالعادة المعتادة .
إنتهى الأمر ، عاد للمنزل ، وفي المساء إنطلق لعمله بالمقهى .
لكنه لم يكن سعيدا بما وجده من أخبار هناك و بما أخبره به مالك المحل طوماس..
-اليوم أحد زملائك بالعمل ستيف مريض و لن يأتي ..لذا ستؤدي أنت دوره اليوم.
-حسنا
كان هذا جوابه مقتضبا لكنه إنزعج قليلا لأنه لا يحب أن يضيع مخزون كلماته في اليوم بعبارات مثل ..مرحبا ماذا تريد ان أحضر لك!
سيدي ! طاب يومك ماذا ستشرب!
و كيف ان سيتعب نفسه بتحريك عضلات فمه من أجل الإبتسام في وجه كل شخص لأن رئيسه يعاتبه دائما على إستقبال الزبائن بوجه
عبوس.
لكنه لا يقوم بذالك ، إنه أمر مرهق بالنسبة له ، إنه فقط يسألهم بدون إهتمام أو مبالاة ،
وهذا ما سيفعله اليوم كذالك.

كان اليوم في العمل عاديا في الأول فقط .. حيث بعد قليل وجد الفتاة أمام عينيه .
إنها ستيلا!
عجبا يا لها من مصادفة ..البارحة فقط رآها لأول مرة و تبادلا معا التحية .. فقط من باب اللباقة و الآن هي أمام عينيه ،قد جلست رفقة أصدقاءها للتو ..أي أنه بالطبع سيواجهها و يكلمها و يسألها عن ماذا تريد أن تطلب ،و بالطبع هي ستعرفه كما هو عرفها ..
هذه المرة، ألقى نظرة عليها قليلا ، من بعيد، من منطقة تحضير الطلبيات ، ثم " عجبا ..إنها فتاة جميلة ،كيف لم ألحظ هذا المرة الأولى !"
تسائل في نفسه .
إنها أنيقة ،تضحك بعفوية ،تبدو براقة و لو من بعيد ، كلما ابتعدت عنها زادت بريقا ..إنه يلاحظ طريقة كلامها، وتعابير وجهها، و ابتساماتها..ثم استنتج .."إنها مفعمة بالحياة لكنه فقط.." .
يلاحظ يعلم بينه و بين ذاته أنه لن يحادثها و لن يجاملها و لن يغازلها أو شيء من هذا القبيل ، لأنه غير مبال بذالك و مثل هذه أمور
تبدو له كأن بها تصنع في أحيان عديدة .
حيث يستخدمها العديد للوصول لنقط ضعف هذا الجنس ..و العجيب أنهم ينجحون غالبا !!
تبا للكلام و ما له من تأثير ألا يمكن لتواصل العيون أن يفي بالغرض!

-مرحبا ..ماذا ستطلبون ؟
تفاجئت ستيلا
-أوه ..أهلا ..دعني أتذكر إسمك قليلا ..أنت بالتأكيد ..لابرينث صحيح؟
-أجل ..أجل ستيلا .
لاحظ تغير ملامحها و إبتهاجها عندما ذكر إسمها، أجابته
- أجل ..نعم، إن ذاكرتك قوية!
- و أنت كذالك .. رغم أن إسمي صعب التذكر.
باغتته إبتسامتها بثغرها الجميل و أسنانها المثالية ،الأعين تكاد تغلق ..لا شك أنها إبتسامة صادقة..
و أحس أن هذه الإبتسامة مهداة له ..هو وحده .
بعد الإبتسامة من طرفها ..و ملامح لابرينث التي لا تحمل أي تعبير ..لا فرحة و لا حزنا ..فقط جامدة و صعبة الدراسة..
لكنها بدت
مهمتمة بتلك الملامح .. فقد نسيت ستيلا أنها تحدق بهذا الشخص وجها لوجه ..و أن الطرفين صامتان ،لعدةثوان ،استدركت موقفها
فخفضت رأسها قليلا ثم عادت لتقول
-سررت بلقائك ..لابرينث
-أنا كذالك .. آنسة ستيلا
قال ذالك بلا تعابير ابتسام ..فقط تعابير هادئة ،كما أنه في فترة تحديقها به لم يبدي تعجبا ..لكنه أحس بشيء ..
كأنها تخترق ملامحه و تحاول معرفتة شيء ما!

ضحكت ضحكة خفيفة عفوية و قالت
-نادني فقط بستيلا
من جديد عم القليل من الصمت يعبر عن توتر في الأجواء ..
إلى أن تدخلت لوسي
-عصير ليمون من فضلك للكل.
و رجع سبيله ، يعم عقله القليل من التعجب ، ماذا كان هذا!
هو الذي لم يحادث فتاة يوما حتى بهذه الطريقة البسيطة ، ثم
بدأ يفكر أليس هذا مبالغا فيه ؟ أن يفكر في موضوع بسيط
كهذا! و إنطلق
مسلسل التفكير في دماغه من جديد .
عاد بالطلبيات ..عصير ليمون للأشخاص الخمسة هناك ، هذه
المرة فقط لاحظ ذالك ، شابان و ثلاثة شابات ، أي أن إحداهن
أتت بلا رفيق ..و هذه الواحدة طبعا هي ستيلا ، هكذا إستنتج
من وضعيات الجلوس و تقارب فرد من آخر و تشكيلهم بدون
وعي مسبق
ثنائيين و فردا لا يبدو واضحا للعيان إلا إذا ركز ..إنها ستيلا .
تعجب من نفسه ..كيف له هو شارد الذهن أن يركز على أمر
دقيق كهذا ..الذي يدخل ضمن الإطار الإجتماعي للناس
الذين لا يبالي بهم!

و هو قادم في طريقه ،يحمل ما طلب، لاحظ القليل من الوشوشات ، بين الفتيات الثلاث، ستيلا بشيء من الإحراج تحاول إسكاتهن، و ما
أن اقترب ، حتى نظر لستيلا في لقطة خاطفة كانت كافية ليلحظ أنها تململت قليلا ،و سيطرت على وضع صديقاتها فصمتن .
وضع الكؤوس دون مقدمات كلامية و لا أي شيء من هذا القبيل ،هو ليس معتادا هذا ..لكن و لسبب لم يعرفه حتى هو حينما وضع !
الكأسين الأولين أمام إثنين من أصدقاءها ، و كان سيضع الكأس أمام ستيلا..خصها بكلمة واحدة، من بديهيات اللباقة "تفضلي" ..كلمة بسيطة لكنه لم يكن
يعرف أنها ستغير الكثير .
تبادلت صديقاتها نظرات ماكرة ، و ردت ستيلا ..و بعينيها لمحة احتشام
- شكرا
إنطلق عائدا للداخل ، يحمل أفكارا جديدة ..يحمل دلائل أكثر من التي حملها المرة الأولى ..لكنه لا يؤكد شيئا و لا يشعر بشيء ..هو فقط
يفكر و هذه هي مشكلته .
يأخذ مواضعيه على شكل أفكار قابلة للنقاش في ذهنه ..ولا يبالي .
ظل يراقبها من بعيد و يتمعن ..
نعم إنها جميلة.

بعد مرور حوالي الساعة ..إنشغل بتنفيذ بعض الطلبيات هنا و هناك ..فجأة عاد بنظره للطاولة المنشودة ..
لم يجدهم ..أو بأكثر دقة لم يجدها ..إنها رحلت .. أحس بشيء ! يصعب تحديد أمر كهذا بالنسبة له ..أخيبة مثل إنتهاء مشهد طبيعي
جميل! ..أم إنتهاء حلقة من مسلسل مفضل! ..ليكون المثال أقرب له ..لنقل إنتهاء قصة قصيرة جيدة .
أمر وجيز ..لقطة ظريفة ..و إنتهى ما إنتهى ..و سيعود للامبالاة.
عاد للطاولة ليحمل الكؤوس ،ثم ..هناك كتاب.
نعم كتاب فوق الطاولة بعنوان "طموح قابل للتحقيق" كتاب تفاؤلي مليء بالترهات على
ما يبدو .
هذا بالتأكيد ليس من النوع الذي يقرأه .
فتح الكتاب لعل اسم مالكه مكتوب بالصفحات الأولى ..هكذا يفعل معظم الناس ، لكن هو لا يفعل!
"ستيلا جونسون" هذا هو اسم صاحب الكتاب ..يا لها من كلمات مبعثرة تتخاطر بذهنه ..ستيلا ،طموح،جميلة !
ما الذي يفعله لابرينث و ما هذه الأفكار المبعثرة!

إذن الكتاب لها ..
قرر أن يحتفظ به، سيتفحصه بالمنزل ، أعاد الكؤوس أخبر مديره أنه سيعيده لصاحبته فهو يعرفها ..عجبا لك يا فتى ، منذ متى إعتبرت
نفسك تعرفها !
الكتاب نفسه لا يهمه ،عنوانه مناقض لمبادئه نوعا ما ! لكنه لستيلا صحيح ! إذن سيعيده لها .
لكن كيف ؟ إنه لا يعرف عنوانها كيف سيفعل ذالك !
هل سيحتفظ بالكتاب في حوزته و ينتظر كالأبله يوم تعاود الرجوع فيه للمقهى ليرجعه لها !
هذا حمق! فإبمكانه تركه بالمقهى إن كانت هذه هي الطريقة.
لا ..سيعيده بطريقته الخاصة ، ربما أمه قد تساعده بالأمر قليلا .
.لكن ما زالت هناك فكرة مزعجة تدق رأسه ..لماذا تهتم للأمر يا لابرينث !
إنه مجرد كتاب ليس حتى من نوعك.
الأمر أعقد من هذا ..أحيانا يصعب على الإنسان تحليل وضعيات و صدف بالغة البساطة .
أكمل لابرينث عمله ،رجع للمنزل، هذه المرة ليس وحده ،بل برفقة صديق ..صديق غريب .. مناقض له في الأفكار ..بشكل أكيد
حتى لو كان المثل يقول لا تحكم على الكتاب من عنوانه إلا أن بعض العناوين شفافة تظهر ما يحمله النص.

لابرينث في غرفته الآن ..يجلس على كرسيه المفضل ،
القهوة فوق المكتب الصغير، الكتاب هناك أيضا ..تخيل لوهلة أن كتبه تنظر بإستغراب للدخيل الجديد ..يبدو أنه غير مرحب به من
طرفهم .
تناول الكتاب بين بديه قرأ ما في ظهر الكتاب :
"هذا الكتاب ملجأ لكل من يعاني ،لكل من تعرقله الحياة و مشاكلها ،و يصعب عليه التركيز على أحلامه و آماله.
حاولت أن أ جمع عصارة ما تعلمه طيلة هذه العقود من بحثي في أنهار الحياة ..لكم أعزائي القراء في هذا الكتاب .
الكتاب بمثابة خلاصة تجاربي و جهودي في متابعة طموحاتي و آمالي التي ظلت معلقة لزمن .
لكنني الآن في اكتفاء و رضى ..تبعت أحلامي ..و أنا الآن مقتنع بنتيجة ما وصلت إليه .
و أريد هذا الشعور لكم أيضا .. أتمنى أن يعجبكم هذا الكتاب الذي بين أيديكم .
و لا أطلب منكم سوى الإستمتاع."
بقلم الكاتب .
تسائل لابرينث في نفسه ..ما هذه الترهات!
إنه حتى لا يفصح إن كان قد حققها أم لا! , إنه يحاول جذب القراء فقط..يريد جذب فضولهم
لقراءة هراءه!

تعجب كيف أن الناس يقبلون على شراء مثل هذه الكتب ، أيحب الناس التعلق بالوهم و أن يأتي أحدهم ليؤكد لهم أن ذالك الوهم حقيقة !
يعشقون جمل المجاملة الفارغة ..أو سماع قصص أناس ناجحة و أصبحت تغرق في أموال أرباحها ..أيظن فعلا هؤلاء القراء ، أنهم
سيصبحون مثل هؤلاء الناجحين ؟
أن آلاف الناس أو بالأحرى الملايين ستصبح في نعيم النجاح فقط لأنها تبعت أحلامها بشغف؟
إن
الشغف غير كاف في نظر لابرينث و الأحلام ليست إلا أحلاما .
.فالكلمة تشرح ذاتها .
كاد أن يرمي الكتاب في مكانه ..لكنه قام بتقليب صفحات الكتاب بسرعة بالضغط عليها من الحافة ..صارت الصفحات تنقلب بسرعة
كبيرة ،
و لابرينث يحاول عد الكلمات المهدورة في هذه الصفحات لا شك أنها بالآلاف.
ثم لمحت عيناه ..بطاقة من ورق بداخل الكتاب .
إلتقطها فوجد بها إسما و عنوانا مكتوب في شكل من الأشكال الرسمية .
مايكل جونسون ..شرطي ..المسكن: الشارع 22 المنزل رقم 76.

إكتشف أنها لا تبعد عنه سوى بأربعة شوارع ، هل سيذهب إليها و يسلمها الكتاب يدا ليد ..مرحبا أنا لابرينث هذا كتابك ..قد تركته بالمقهى!
لا لا لن يفعل هذا .
بل سيفعلها على الطريقة التقليدية ..سيرسل إليها كتابها في طرد مرفوقا برسالة توضيحية .
تبدو هذه طريقة أقل عناءا .و أخف عليه من الكلام
و الإرتباك و فشل التواصل الذي يعاني منه .
لكن تعجب لابرينث من كل هذا!..أولا صدفة اللقاء ، ثانيا ذالك الحوار المحتشم ،ثالثا كتاب يحمل الإسم و العنوان ! هل عليه فعلا
أن يبدأ في الإيمان بالصدف !.
في الصباح التالي غلف الكتاب ،و حيث ألقى عليه نظرة أخيرة حينها تسأئل في نفسه ..إذن هي فتاة مفعمة بالتفاؤل ،تريد أن ترى الحياة
أحلاما مزهرة و طريقة عيش يسيرة !
أمر ليس بالغريب يمكن إستنتاج هذا من أول نظرة لها و هي مبتسمة .
كان قد حفظ العنوان عن ظهر قلب و أعاده حيث وجده .
ذاكرته القوية لا تخذله ..لا ينسى أي شيء لا يريد هو نسيانه .
لكنه لا يقعلها إلا أحيانا . نظرا لما جعلته يكابد بالماضي.

صباح اليوم التالي ..إستيقظت ستيلا بحيوية كبيرة تتذكر ما حدث لها عشية أمس، و ذالك اللقاء بالصدفة ، و ما غير فيها من
مشاعر..بدأت تستحضر ما فعلت بأمس و ما خططت له في لحظات بعد ذالك ..
تبتسم في نوع من الفخر بحيلتها .
ستيلا رافقت مجموعة أصدقائها لمحل القهوة ..ليجالسو بعضهم قليلا ..لكنها فوجئت بالنادل ..إنه ذالك الغريب الشارد ،و لأن ستيلا تؤمن
بالقدر ،
فإنها لم تعتبر ذالك محض صدفة ، بل قدرا مكتبا عليها ..كأنه لن يصبح غريبا بعد الآن ،رغم أنها لم تقابله سوى البارحة ، و لم تتبادل معه سوى التحية !
هكذا يأتي الإيمان بالقدر، لا تسأل عليه كثيرا ..بل تقبله كما هو وترضى به .
ستيلا رضيت بهذا الفتى ..و أصبح فضولها نحوه أكبر.
و بعد الحديث القصير و المتوتر ، تهامست صديقتاها و وجهن لها القليل من الكلام المعهود :
-أرى أن الفتى يعجبك
-منذ متى و أنت معجبة بالنادل الجديد؟
-أرأيت ارتباكها ؟
- ستيلا تحب الغامضين !
ردت ستيلا و هي في نوع من الخجل
- حسنا ..صمتا ..كفاكما سخرية .

إنها تعرف جيدا أنها لا تستطيع إخفاء مشاعرها ، سرعان ما يظهر ما يخالج ذاتها على سحنة وجهها ، لذالك يبدو جمال عفويتها نابعامن القلب.
هذا ما رآه لابرينث حينما تمعن لأول مرة .
إستمرت جلسة عصير الليمون..و تفاجأت ستيلا بتخصيصه لها جملة "تفضلي" ، هذا يعني أنها ربما في تفكيره الآن.
إشارات بسيطة لكنها ذات وقع كبير على نفوس البشر الحساسة .
و لأنها كانت تحمل كتابا في يدها تحت عنوان "طموح قابل للتحقيق " ولكونها مؤمنة بأن الصدفة هي إشارات من السماء . فربما.
طموحها في التعرف على هذا الشاب سوف يتحقق، هكذا تنطق الصدف ..
أخذت الكتاب و وضعت داخله العنوان تحت إسم أبيها بالقلم في بطاقة كانت تتركها كعلامة توقف بالكتاب ..
نصف البطاقة مطبوع ،و هو الإسم ،و النصف الآخر كتبته هي ، و هو العنوان .
خطوة ذكية ، و سترى إن كانت ستجدي نفعا .
إنتهى لقاء الأصدقاء بعد حوالي ساعة من الجلوس ..ستيلا نهضت هي الأخيرة لكي لا يذكرها أحد أصدقاءها بأنها نست الكتاب ..تأكدت
كذالك من من يجاورها طاولات المقهى، ثم مضت ..تاركة الأمور من جديد للقدر .

في اليوم الموالي ، تفقدت ستيلا صندوق الطرود تحت طلب من أمها .
وكانت المفاجأة التي لم تكن تتوقعها بهذا الشكل .
طرد من عنوان جديد ..الشارع الثامن عشر المنزل الرابع .
مرسل إلى ستيلا جونسون.
وضعت باقي الرسائل لأمها في المطبخ ..
و إنطلقت مسرعة لغرفتها بالطابق العلوي يغمرها الفضول و الترقب ..
إنه كتابها مرسل من طرف "لابرينث لوري ".. مغلف بطريقة أنيقة و مصحوب برسالة منه ، هذا ما زاد في حماسها .
أخذت نفسا و فتحت الرسالة .

" مرحبا ستيلا
سررت بلقائك البارحة مجددا ، رغم أنه كان لقاء نادل بزبون .
لكنك قد نسيت كتابك بالمقهى ، يبدو أنه كتاب مفعم بالتفاؤل ولحسن.
الحظ أن العنوان بشكل ما كان داخل الكتاب ، خطوة ذكية ..
فهكذا لن يضيع منك الكتاب حتى لو نسيته ..هذا يعني أنك محبة لكتبك.
و ها هو ذا يرجع إليك .
أتمنى لك حظا طيبا .
لابرينث ."

رسالة قصيرة ..كقصر حديثه معها ..لكنها كانت تفي بالغرض و كفيلة بإسعاد ستيلا .
حدثت ستيلا نفسها :
إذن هذا أنت .. شاب وسيم ، هادئ ، أنيق ،و كلاسيكي.
لكنك أيضا تبدو خجولا ..منزل لا يبعد عن منزلي سوى أربعة شوارع . فلماذا لم تأتي و تسلمه لي بنفسك! ليس هذا ما كنت أنتظره !
لكن
بصراحة أعجبتني هذه الطريقة المختلفة ..أنت مختلف ،و غريب قليلا ..غموضك يحتاج الكثير ليكتشف .
ثم برقت في ذهنها فكرة أخرى ، سترسل إليه رسالة شكر و عرفان ،و طلبا لتناول بعض القهوة بمثابة رد للجميل .
و الآن إذا عليها أن ترسل له رسالة .
"مرحبا لابرينث ،
أولا أشكرك على أمانتك و إرجاعك الكتاب في وقت وجيز .
و هذا يدل على خصالك الجميلة، فاجأتني طريقة إرسالك له ، لكن أعجبتني ..طريقة كلاسيكية و ممتعة .
و لأعبر لك عن خالص شكري.
أريد أن أقترح عليك مشروباً ، و أن نجلس قليلا ،أنت تعرف..

فقط إن كان بإمكانك هذا .
لا أود ان أضغط عليك إن كان جدولك مزدحما أو شيئا من هذا القبيل .
كما أنك تبدو محبا للكتب ، سأسعد بالحديث معك
ستيلا "
وضعت ستيلا الرسالة و هي راضية عنها بعد أن أعادت مراجعتها .
وضعتها بالصندوق ..و إنتظرت الرد بفارغ الصبر

صباحا يستلم لابرينث الرسالة و يتفاجئ.
لم تفاجئه الرسالة طبعا، رسالة شكر من فتاة ممتنة طبعا أمر عادي ،لكن دعوة للقائها ! الأمر غريب عليه .
و السبب ببساطة أنه لم يدعى من طرف فتاة من قبل أو حتى من طرف صديق ..
هذا إن كان يمتلك أصدقاءا من الأساس!
علاقات الصداقة مشوشة بشدة لدى لابرينث أو العلاقات الإجتماعية بشكل مجمل ، حتى أمه لا يجيد الحديث معها .
كيف له الآن أن يقابل هذه الفتاة فقط لأنه أعاد لها كتابا!
كان مترددا، و ليس لديه خيار ، لا يمكن له كجنتلمان أن يرفض الدعوة .
ما يقلقه هو أن يخرب اللقاء فهو ليس جيدا بالحوار و التواصل . ليس لأنه لا يعرف ما يقول ..بل ما يفكر فيه بشكل ما ..يصعب عليه.
التعبير عنه ..إعتاد الصمت لسنوات .
قال في نفسه ..
"لا يهم ، إنه مجرد لقاء، ليكن ما يكن ،أنا معتاد الخيبات، ما الذي سيزيده لقاء بسيط من تأثير!"
لم يكن يعلم أن هذا اللقاء سيغير الكثير.

"ستيلا،
أشكرك على ردك ..
ولا تحتاجين إلى شكري على ما حصل ، إنه من واجبي و دواعي و سروري القيام بذالك .
نعم ، يدعو للإستغراب أنني لم آتي بنفسي إلى المنزل رغم أنه قريب .
السبب أنني لم أفكر في ذالك مطلقا.
و إنه لشرف لي أن أقبل دعوتك .
في انتظار أن تحددي المكان و الزمان.
لابرينث"
هكذا إستلمت ستيلا الرسالة و قرأتها و فرحت بمضمونها و حددت المكان و الزمان في جملتين و أرسلتهم له .
و كان من المضحك بالنسبة لها طريقة كتابته الجد رسمية و المقتضبة و الجميلة .
أعجبتها جمله ، أحست أنها محترمة و ذات مكانة في عينه منذ البداية.
تنبأت أن حديثه المباشر أكيد لن يكون ككتابته ، كإستنتاج فقط من ما لاحظته عند رؤيته لمرتين.

" غدا ،مقهى روميو ، الساعة الثامنة مساءا "
تسائل لابرينث في ذاته إن كان هذا دعوة شرب قهوة أم موعدا!
ستيلا نفسها لا تعلم !
الأمر سيترك لمجرى الحديث و كيف ستمر الأمسية .
لم يتأنق لابرينث بشكل مخصص أو محدد ..فقط لبس ما يروق له من ثيابه التي أغلبها سوداء.
ستيلا حرصت على أن تكون في أجمل حلة بلباس أزرق سماوي وتنورة قصيرة ..شعر مسدول مموج كعادته و رائحة عطر تفوح من جيدها الناعم.
لا تضع غالبا أي شيء في عنقها أو أذنيها ..لا تضغ طلاء الأضافر ولا تلبس أحذية العكب ..إنها تستمتع بالأنوثة
البسيطة دون مبالغة ..الأنوثة التي بها لمسة طفولية بريئة .
السابعة و النصف يخرج لابرينث، فهو دقيق في الأوقات.
يداه في جيبي سرواله، يتمشى ببطء ..
الجو بسماء غائمة لكنهالاتمطر ،
القمر يظهر و يختفي مع تحرك الغيوم .
الثامنة إلا ربع ، تخرج ستيلا ، بخطوات قصيرة سريعة .
أناقتها زادت الأمسية دفئا و جمالية .
ها هي قد وصلت ، لابرينث عند باب المقهى و يداه في جيبيه تسمرت للحظة عندما أبصرته من بعيد ..أحست بحرارة.

-مرحبا لابرينث
قالتها بأنفاس متقطعة قليلا ثم أضافت
-آسفة إن كنت قد تأخرت عليك
-لا على الإطلاق جئت في الموعد ..يبدو أنني أنا من جاء مبكرا ..أحببت أن أتمشى قليلا قبل الوصول.
أجابها
أعجبها الأمر ..أنه جاء مبكرا ،أي أنه مهتم ، ستيلا تحب الإهتمام ..لم تكترث للباسه و لم تدقق فيه ..كعادتها مع الكل ..
لا بل
عندما أصبحت أمامه نست ،معظم ما كانت تفكر فيه ..كانت تنظر مباشرة في عينيه و وجهه الذي تطغى عليه لمحة الحزن حتى وقت
ابتسامه.
-حسنا جيد إذن
قالتها بإبتسامة جميلة ..جعلته يطيل النظر قليلا على غير عادته ..حتى أنه نسي ماذا كان سيقول.
فقالت هي
- إذن هل ندخل ؟ أم تريد تغيير المكان؟
تدارك الموقف
- لا ..المكان جيد فلندخل.
تأخر وراءها و سمح لها بالدخول أولا .
فعلا أعجبتها كلاسيكية هذا الشاب.

-تبدين جميلة ستيلا
بابتسامة مشرقة أخرى
-أشكرك ..أنت كذالك تبدو متأنقا.
صمت لبرهة ثم أجاب بهدوء و أدب
-لا داعي بالرد بالمجاملة..انا لا أبدو بذالك التأنق .
صمتت الفتاة لبرهة ..ثم قالت بتلعثم
-حسنا ..لم ..لم تكن مجاملة .
- أنا الذي لم أجاملك .
جواب سريع احمرت على اثره وجنتاها .
- شكرا ...
لزما الصمت لبرهة ، بدأت ترتبك فيها ستيلا ..لابرينث لم يعد يشعر فيها بالراحة، و ظن أنه أفسد مجرى الحوار .
ثم أتى النادل . طلبت ستيلا قهوة بالحليب ، و طلب لابرينث قهوة سوداء .
-أرى أنك معتاد القهوة ..لا يشرب السوداء إلا المتمرسون .
ستيلا حاولت فقط كسر الصمت بهذه الجملة .
-أظن ذالك ..لا يشرب سوى الذين يسهرون كذالك أو الراشدون ذوي الأبناء .
-نعم ربما معك حق ..أو..العجائز الذين يحاولون التركيز على كتاب كي لا ينامو .
ابتسم على إثر هذه الجملة حتى بدت أسنانه .
غمر ستيلا فرح ..أنها أخرجت هذه الابتسامة الصعبة

-لاأقصد الإهانة طبعا
-طبعا أعلم ..لا عليك .
-لا أعلم لما تبدو أنك محب للكتب .
-يمكنك قول هذا ..أحب المطالعة ..من وقت لوقت .
-جميل أنا أيضا أحب القراءة ..أشعر أنها تعطيني طاقة معينة ..و تزيدني ثقة بنفسي ..خصوصا الروايات الواقعية ..و كتب التنمية الذاتية...
بينما ستيلا تحكي و الابتسامة لا تفارقها ، لابرينث كان متمعنا في حركاتها ، جمال ثغرها، بريق عينيها خصلات الشعر التي تعبث قربهما، و كيف تلوح بيديها الصغيرتين الرقيقتين ...
عاد لشروده المعتاد ..إن كانت الكتب التي تقرأها تثير حماسها بهذا الشكل أو هي السبب في ما يراه أمامه من بريق ..فربما قد يتوقف عن
كره ذاك النوع من الكتب..لا يفكر في قراءتها ..لكنه سيحترمها قليلا .
-لابرينث ..هل تسمعني ؟
ثم بضحكة رقيقة أضافت
-آسفة أظن أنني أثرثر كثيرا .
-لا أظن ذالك ..بالعكس كنت مصغيا .. و مركزا
كانت تريد قول شيء ، لكنه عقب.
- أراك فعلا محبة للكتب ..و إن كان هذا تأثيرها عليك ..فأنا ممتن لها.

هل تعتبر هذه مجاملة أم غزلا !..على العموم ليس هذا وقت ذالك ، لا يزال أمامها الليل بأكمله لتفكر و تحلل أحداث الأمسية .
قالت
-ماذا عنك.. أي نوع تقرأ و ماذا تحب في الكتب ؟
نعم هذا سؤال جيد لكي تستدرجه للكلام.
- نعم ، بالنسبة لي ..فأنا معجب بالكتب ذات النهايات غير السعيدة ..أقرأ كتب التفكير الفلسفي ، أحب الإطلاع على التاريخ أيضا ، القليل
من العلوم التي تدرس الإنسان ..شيء كهذا .
- اوه ! هذا يبدو مثيرا ..تقرأ أنواعا مميزة، بالمناسبة أنا طالبة في علم النفس ..لذالك أظن أنني أقرأ جزءا من ما تقرأ. لكن التراجيدية
..لا أظن أنني أستطيع تحملها .
قال في نفسه (طبعا لن تستطيعي أن تقرئي عن كل ذالك البؤس ..بكل هذا التفاؤل ..ذوقك بمثابة النهار و ذوقي بمثابة الليل).
-هذا جميل ..أنا أدرس الفلسفة .
-أوه ..لا بد أنك تطيل التفكير و التشكيك .. ستحتاج الكثير من القهوة .
ضحك من قولها ..و أحب روح الدعابة فيها .
الله وحده يعلم كم مضى من الوقت لم يضحك فيه.

قال رادا عليها
-نعم يمكنك قول هذا.
-أنا ربما في المستقبل سأحتاج شيئا يوقظ الحواس لكي أشعر بمرضاي ..لأنني أحلم أن أكون معالجة نفسانية.
-أظن ذالك، لكن أظنك ستحتاجين دماغك أكثر ..فلا تنسي بأنه مريضك لا صديقك ، عليك ان تستخرجي شيئا ضارا منه..كمرض خبيث
من الجسد ..فلا أظن أنه يجب أن يكون هناك مجال كبيرا للمشاعر من طرفك.
أعجبتها طريقة تفكيره و أنه يعرف كيف يناقش مواضيع كهذه .
- ربما كلامك صحيح ..لكن أليس علي أن أشعر بما داخل المريض كي أستخرج منه أسراره .
- عليك فقط أن توهميه بذالك ..و سيبادر و يفرغ عليك برميل مشاكله ،البشر مخلوقات ضعيفة ،تحتاج الدعم دائما .
- أراك متشائما قليلا ..يبدو أن القهوة أعطت مفعولها .
ضحك ضحكة خفيفة من كلامها مجددا .
- الواقع قاس أحيانا ..لكن هذه هي طبيعة البشر .
- البشر ربما قد تبدو مخلوقات ضعيفة ..لكن مع بعضها البعض .
تصبح قوة جبارة .

رد عليها
- دائما ما تكون هنالك ثقوب و نواقص في التكتلات البشرية .
.أحد يخرب الأمر دائما .
- ربما الذي خرب الأمر كان يحتاج فقط أن يفهم .
- إذن هو مشكلة إن كان وحده ، و إن كان بالجماعة .
- الآخرون موجودون لمساعدة آخرين .
ساد القليل من الصمت، ثم أردفت
-كما أن هناك علاقة أقوى من العلاقات الأخرى ، يصعب زحزحتها..
أجابها مباشرة
- الحب!
- نعم ، إنه الحب .
صمت قليلا ثم قال
-نعم ..لكنها علاقة تحتاج تضحيات .
-متفقة معك تماما .
إرتاحت لأنه على الأقل لا يحمل إنتقادات ضد الحب ..
طريقة تفكيره أصعب من ما كانت تظن .. قالت في نفسها .
"أحتاج فهم هذا الشخص أكثر و أكثر ..و كأنه مريضي الأول ، في مسيرتي "

لم تكن تعلم ستيلا ..أن هذا الحديث الذي أجراه لابرينث معها حتى الآن ،لم يجر مثله منذ مدة طويلة جدا جدا .. و أنه لا يعلم لماذا ارتاح
للحديث معها !
و كيف عبر عن رأيه أمامها ! ربما ظن أنها لن تعتبره غريب أطوار.
هي فعلا لم تعتبره كذالك ..بل اعتبرته مختلفا ، و أعجبت به إعجابا كافيا ليلحظه هو حتى لو كان كثير التشكك.
إستمر حديثهما ،و فرغت أقداح القهوة ، سارت ستيلا تحكي له عن حلمها في تخصصها الدراسي و تحدثه قليلا عن أفكارها، وهومن الحين للحين ينطق ليثبت أنه ليس شاردا .
وتنسى هي أثناء حديثها أنه ينسى نفسه محدقا بها لمدة طويلة ..
لكنها لم تكترث للخجل ..و
هو لم يكترث إذا كان حديثه يبدو أحيانا غريبا .
إستمر حديثها دو ن تلعثم لسان ، دون خجل ، فقط كأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن .
إستمر الحديث لساعة و نصف .. حديث متنوع المواضيع..كانت ستيلا المبادرة دائما بفتحها ..
فهي الآن بدأت تعتاد طريقة حواره،
وتقبلتها بكل بساطة .
و قد نجح هذا ..
أمسية مليئةبالآراء ،طموحات ،تشاؤمات،ضحكات ،نظرات أعين أثملها الحديث ،حيوية ستيلا وهدوء لابرينث،
كالنهار و الليل .

-أظن أنني قد مللت المكان ، لنتمشى قليلا ، عائدين ، فعلى أي، قد وعدت أمي أن أعود في تمام العاشرة .
- حسنا لا مشكلة ، ما زال أمامنا نصف ساعة .
إنطلقا معا ..يأخذان الطريق ببطئ ، ستيلا و يداها أمامها معقودتان لصدرها .
لابرينث و يداه في جيبي سرواله .
أصبح الحديث بطيئا كطريقة سيرهما .
-من الغريب أنني لم أسألك عن حسابك الإلكتروني أو .. قطع حديثها
-لا أمتلك واحدا ..لا أمتلك هاتفا ..لا أحبه
-و ماذا عن الحاسوب ؟
-لا أمتلكه كذالك .
تفاجئت ستيلا كثيرا ..من لا يملك هاتفا أو حاسوبا في هذا الزمن!
- إذن أرى أنك معاد للتكنولوجيا الحديثة .
- ليس عندي مشكلة مع الإختراعات التكنولوجية ..لكنها يبدو لي تزيد الإنسان كسلا شيئا فشيئا ..كل شيء أصبح في متناوله لكنه،لايستطيع أن يصل إليه
كما أنني أفضل ما كانت عليه الحياة قبل كل هذا .

صمتت ستيلا قليلا ..و لكي لا يبدو عليها إستغرابها الكبير أمامه حاولت تلطيف الحديث
- لا عجب إذن ..القهوة السوداء .
نظر إليها لابرينث و قد ضحك من جديد. عجبا..كيف تفعلها هذه الفتاة كل مرة !
- لكن لديك عنواني ..يمكننا أن نتراسل على الطريقة القديمة .
- نعم ...أتعلم ؟..أظنها أكثر متعة .
- أو ربما آتي إلى منزلك هذه المرة و أكلمك مباشرة ..يمكنك تخيلها أنها على إحدى مواقع التواصل .
ضحكت ستيلا ببشاشة ، و أعجب لابرينث بالأمر ..أن ستيلا .تضحك على دعابة ألقاها هو هذه المرة .
لكن ستيلا كانت تشعر بالسعادة ..لأنه صارحها بأنه سيراسلها أو يأتي إلى منزلها ..لأنها لاتريد لهذا أن ينتهي في شربة قهوة واحدة .
لابرينث كذالك لا يريد هذا ..و لأسباب واضحة طبعا ..إن عضلات فمه بدأت تؤلمه من عدد المرات التي ضحك فيها أو ابتسم .
ليس معتادا على مثل هكذا أمور .
ربما آخر مرة ضحك فيها ..
كانت حينما كان أبوه حيا .

اقتربا من مسكن ستيلا ، تباطئت الخطوات قليلا ،قالت
-أظن أنني هنا
أشكرك على تلبية الدعوة الليلة .
-الشكر لك آنسة ستيلا على هذا العشاء.
ضحكت ستيلا ثم أجابت
-لم يكن حتى عشاءا حقيقيا .
-لا يهم ماذا أكلنا فيه.
-يعجبني كلامك الحكيم ، كلام أكبر من عمرك
-حسنا ..قد كشفتي ..إنني كهل متنكر في جسد شاب هزيل.
ضحكت ستيلا ضحكة لافتة و صادقة ..برقت على إثرها عينا لابرينث .إذن إتضح أخيرا بأن في عينيه نوع من الحياة .
-حسنا ، إلى اللقاء يا جدي.
قبلة على الخد غير متوقعة. سمرت لابرينث في مكانه .
لم يجد سوى الوقوف و النظر إليها تمشي إلى الباب .
تسائل في نفسه ما الذي يحدث ؟ و كيف يحدث هذا بهذه السرعة! ستيلا أظهرت كل ما يحتاجه لقطع الشكباليقين .
لكن كيف لفتاة مثلها!
أن تعجب بفتى مثله!
أكمل طريقه و التساؤلات تعم ذهنه و ملمس القبلة على خده يذهله.

إستلقت على السرير، و الإبتسامة العريضة تملأ وجهها، هذا يوضح أن النجاح كان مصير هذا اللقاء .
إنها تزاد إعجابا بالفتى في كل
نظرة جديدة تتطلع بها إليه ،في كل جملة تخرج من فمه الأمر بسيط بالنسبة لها ..لا يحتاج تعقيدات .إنهاتحبه. لأنه فقط،ما هوعليه.
لم تضع في ذهنها معايير محددة للشخص الذي تريده ،إنه فقط، ظهر، أو هي اكشتفته بالصدفة .
فأشخاص مثله لا يلمعون بريقا و
جاذبية كبقية الشبان الوسيمين ذوي العضلات البارزة. أشخاص مثل لابرينث هم فقط يعيشون معنا بهدوء ليسو مثيرين للإنتباه ..ويخبئون الكثير..
و كل شيء غريب فيه فهو يبدو مناسبا لستيلا .لقاء حقيقي واحد معه ، جعلها تتخذ قرارها ، إنها تريد أن تكون مع هذا الفتى .بينما أن الإعجاب . فقد كان منذ زمن الكنيسة .
لابرينث على كرسيه ، جلس يفكر ، الأمر أعقد بالنسبة له العلاقات بشتى أنواعها معقدة في ذهنه .
يعاني من مبالغة دماغه في تحليل كل شيء .
لكن في أعماقه، و وسط ضجة التفكير ، قد عرف بطريقة ما ،أنه يحس بشيء ما اتجاهها ، لكنه خائف، خائف أن يكون تأثير هذا كالمخدر
و إن كان هذا المخدر ضئيلا،
فهو خائف أن يزول بسرعة .

في الأسبوع الموالي ، صباح السبت .
استيقظت ستيلا وقبل أن تفعل أي شيء ..تفقدت رسالة لابرينث من جديد ، كانت قد قرأتها عدة مرات، يعجبها أسلوبه المهذب و القديم في
الكتابة .
"آنسة ستيلا،
يسرني أنك راسلتني من جديد ،
أوافقك الرأي أن الدور دوري في الدعوة.
لكن و للأسف هذا الأسبوع لا أستطيع ،
نظرا للعمل و الجدول الدراسي.
لكنني سأوفر هذا لعطلة نهاية الأسبوع .
و سأدعوك لمكان ما،
لم احدده بعد .
أراك بعد أيام .
لابرينث. "
تسائلت ستيلا ، كيف يستطيع أن يلخص كل ما يريد قوله في بضع أسطر ! لا بد من أنه ذكي ،
رغم أنها لاحظت هذا مسبقا.

"حسنا ،
أنا في الإنتظار ، فقط حدد الوقت و المكان عندما تفكر فيه فأنا جاهزة .
ستيلا"
فكر لابرنيث حالما قرأ الرسالة أن رسائلها أصبحت أقصر ، أسلوبها أصبح أبسط، كأنها مقربة منه منذ مدة ، و هذا جيد، يا لها من بداية!
و كم اختزل في هذه العلاقة من المسافات و المراحل .
"جميل إستعدادك هذا ، لأنها ستكون عبارة عن رحلة ، ليست بالطويلة جدا، لكنها بعيدة، سآخذك إلى مكان ما .
يوم السبت على الساعة العاشرة صباحا أتمنى أن تكوني مستعدة عندما آتي لإصطحابك.
لابرينث"
شعرت ستيلا بفرحة عارمة ، إنها رحلة، لطالما أحبت الرحلات ، لكنها لم تخرج منذ مدة .
كما أنها لم تتوقع من لابرينث أن يخطط لهذا ..يبدو أنه ربما قد ينفتح أكثر اتجاهها .
فرحت ستيلا و تفائلت بعد أن فكرت بهذا .
فقدرها يضعها الآن في رحلة مع لابرينث لا تعلم إلى أين.

في تلك الليلة أخبرت ستيلا أمها و أباها عن الرحلة عندما كانا يشاهدان التلفاز.
-أمي، أبي ، يوم السبت سوف أذهب في رحلة .
الأم: إلى أين؟ و مع من؟
-مع صديق لي إسمه لابرينث عرض علي أن أرافقه في رحلة .
الأب: لابرينث ! لم اسمع بان لك صديقا يدعى لابرينث؟ و لماذا تذهبان لوحدكما؟
-نعم إنه صديق جديد لي ..
-لكن كيف تثقين به بهذه السرعة؟
-نعم كيف تعطينه هذا القدر من الثقة للذهاب معه في رحلة .
-لا تقلقا ..إنه لطيف، و أمي أظن أنك تعرفينه، إنه ابن صديقتك القديمة التي إلتقيناها بالكنيسة .
-آه ، نعم تذكرت ، يبدو مهذبا ، لكنه يبدو غريب الأطوار أيضا .
أمي..! كفي عن هذا إنه لطيف .
الأب: هل سأكرهه؟
ستيلا تضحك.

-لا يا أبي بل سيعجبك.

سألت الأم
-لكن إلى أين و ما المدة؟
- على ما أظن يوم السبت كاملا، و لا تقلقي إنه فقط بعض التسكع هنا و هناك ، مثل نزهة .
ستكون جميلة يا أمي ، قد عرض علي الأمر ولا أستطيع أن أرفض ، كما أنني لم أخرج منذ مدة طويلة .
صمت الأبوان لمدة، و لاحظت ستيلا تغير ملامحهما قليلا ، إنها تعرف تلك النظرات على وجهيهما.
سبقت الحدث و قالت بفرحة بادية على وجهها
-أشكركما جزيلا ..أنتما الأفضل ،أعدكما بأن الأمر سيكون على ما يرام .
صعدت الدرج مسرعة و تركتهما .
الأم: لكن لن ترجعي متأخرة مساءا .
- أكيد أعدكما
قالت الأم : إبنتنا بدأت تكبر و شرعت في بحثها عن حبيب.
الأب: لا مفر من ذالك وإلا فكيف كنت لأحصل عليك .
تبادلا بعض الإبتسامات و قبلة على الجبين من مايكل لأنجلينا .
إنهما زوج ذو علاقة سليمة ما زالت تملأها المودة .

صباح السبت ستيلا تستيقظ ،تتأنق، تلبس من ملابسها المفضلة .تهبط الدرج بخفة ، تأخذ إفطارها مع الأسرة .
الأب: تبدين متحمسة هذا الصباح ما السر إذن أهي الجولة أم الفتى !
شعرت ستيلا بالإحراج و احمرت وجنتاها .
قالت الأم: مايكل..ما هذه الأسئلة !
- فقط أمازح ابنتي العزيزة .
بعد الإفطار ، ستيلا تنتظر العاشرة، و قبلها بخمس دقائق يدق جرس الباب ، تهبط ستيلا بسرعة لكن الأم كانت قد سبقتها .
-مرحبا سيدتي .
- أهلا ..لا بد أنك ..لابرينث
- نعم أنا هو .
مدت يدها لتصافحه
- أنا أنجلينا .
- سررت بمعرفتك سيدة أنجلينا.
-و أنا أيضا ..أيها الشاب ..تبدو مهذبا و وسيما ، أعجبت بك منذ الآن.
ضحكت الأم ضحكة خفيفة بعد قولها و إبتسم لابرينث في وجهها بتقدير ، ثم أحنى رأسه قليلا .

وصلت ستيلا عند الباب .
نظرت للابرينث بإعجاب ..و توترت قليلا ،
إبتسمت وقالت
-أهلا لابرينث .
رد لابرينث مبتسما
-آنسة ستيلا هل أنت جاهزة ؟
ضحكت الأم من طريقة كلامه .
أتى الأب .
- سيد لابرينث أنت الشاب الذي سيأخذ إبنتي و يرجعها في أمان صحيح؟
صافحه لابرينث : هذا أنا سيدي ، لا تقلق حيال الأمر .
رد عليه الأب
-إسمي مايكل ،و أظن أنك سوف تدخل لشرب قدح من القهوة قبل الذهاب .
قالت الأم : نعم سيكون جميلا لو دخلت لتشرب شيئا .
- أشكركما ..لكن أظن أن علينا الذهاب الآن لو سمحتما .
وافقته ستيلا الرأي و قالت: نعم علينا الذهاب الآن.
سمح الأبوان لهما بالذهاب و ما أن انطلقا حتى إستوقفتهما الأم
- مهلا ستيلا ..ألم تنسي شيئا ؟
تذكرت ستيلا و عادت مسرعة إلى المنزل ،ثم إلى الطابق العلوي و عادت بمحفظتها الجانبية.

-كان عليك أن ترى نظراتهما لبعظهما .
قالت أنجلينا لمايكل و هما يشاهدانهما يذهبان بهدوء .
قال مايكل بنظرة خبير
-المسافة بينهما تظهر أنهما لا زالا في قليل من الخجل ، لكن لا تقلقي بعد عودتهما سيكون الأمر قد تغير.
- نعم أوافقك الرأي ، لكن ألا يمتلك سيارة؟
- لا يبدو أنه يمتلكها، على أي،
لا يهم هذا.

قالت ستيلا بعد أن ابتعدا لمسافة كبيرة .
- لقد نجوت بنفسك من حديث القهوة ذالك، كانا سينهمران عليك بالأسئلة ، كأنه استجواب ..لا تنسى أن أبي شرطي ،سيبدو الأمر مماثلا.
- ربما ..فقد أبدو كمجرم لو توترت قليلا .
ضحكت ستيلا وقالت
- حسنا يا سيد مجرم ..إلى أين ستأخذني الآن . هل هذا اختطاف ؟
إبتسم لابرينث
-إنه فقط مكان به الكثير من الذكريات بالنسبة لي .
- سيسرني أنك ستتشارك القليل منها معي .
لم تظن ستيلا أن لابرينث سيفعلها سيبدأ بالبوح بالقليل من ما خلف عينيه الحزينتين. تنبأت أن الذكريات أيضا ستكون حزينة.
- سيسرني أنا كذالك .
لا تعلم ستيلا لماذا ارتاحت لملامح هذا الفتى منذ أول مرة .. و لماذا تشعر بالأمان معه ..
وكيف لهذا أن يحدث بهذه السرعة ألأنها أول مرة لها !
أم لأنها أصابت الإختيار منذ المرة الأولى!

ستيلا بطابعها المرح ..لم تتوقف عن جعل لابرينث يبتسم .
حتى بدأ يشعر بنوع من السعادة ، هذا ما جعله يفكر في ذهنه هل هذا سيدوم ؟
فكل لحظة سعادة هي نذير شؤم لبؤس يتبعها! هذا ماتعلم من حياته حتى الآن.
لكنه كالعادة يغلف تفكيره الشديد المأساوية باللامبالاة .
-إذن ما زلت مصرا على عدم اخباري إلى أين نحن متوجهون ؟
- ها هي حافلتنا، حالما نصعدها سأخبرك.
- لا بد أن هذا المكان فيه شيء ما يصلك بها.
- نعم إنه رابط بين ما كان قديما و ما هو جديد.
صعدا الحافلة ، لابرينث كان قد اشترى التذكرتين البارحة .
بينما جلسا على مقعدين متجاورين ، ستيلا بجانب النافذة ، أفصح لها لابرينث
- الرحلة متوجهة إلى دياري اي مكان ولادتي ، بلدة صغيرة لا تختلف عن هوبتاون كثيراً ، إسمها "بلدة العم ريتشارد" . تبعد بحوالي
ثمانين كيلومترا ،بها منزلنا القديم .

-هكذا إذن ..هو المكان الذي ستقطعني فيه .
ضحك لابرينث من قولها و التفت لها .
- ألن تنفكي عن الغوص بخيالك الواسع؟
- لا أظن ذالك..أو ربما إنها قلعة أرواح او شيء من هذا القبيل .
تتحدث ستيلا و تعبر بكامل جسمها بحركة و حيوية تحرك يديها في الهواء كل مرة .
أحب لابرينث كل هذه الصور و التعابير التي تنتجها .
- أظن أنك ربما اقتربتي للواقع قليلا ، ربما هنالك أرواح، من يعلم ! آمل أن لا ترتعبي .
- أرتعب ! أنت تمزح صحيح ..إنني دائما أشاهد أفلام الرعب بجرأة، مختبأة وراء ظهر أبي .
ضحك الإثنان كثيرا ..خلال مدة الرحلة ، لابرينث تضحكه دعابات ستيلا و حركاتها و عفويتها، و ستيلا تضحك لأن سعيدة و أنها استطاعت إسعاد لابرينث .
كما أن لابرينث تحدث كثيرا .
إن ستيلا بارعة في اخراج الكلمات من فمه ،
بكثرة أسئلتها و تفاعلها معه بشكل أو بآخر ..لا أحد فعل هذا مسبقا معه .

بعد مرور ساعة من ركوبهما الحافلة ..
إنتبهت ستيلا أول مرة للطبيعة خارجها .
أرض خضراء منبسطة ، تسر العين و تهدأ البال ، أرض خالية من العمران.
فقط بيوت فلاحين منعزلة هنا و هناك، أشجار و ورد .
تسائلت ستيلا بصوت عال ليسمعها و هي تنظر من النافذة.
- أليس أمرا رائعا ؟ أن تعيش بأحد البيوت المنعزلة هكذا ،بعيدا عن كل ضجيج تفتح عينيك على كل هذه المناظر كل صباح .
نظر لابرينث بدوره إلى ما تنظر إليه و قال
- لا أظن أنه بالأمر الرائع كثيرا ..أو ربما يبدو رائعا في الأول فقط .
إستفهمته محاولة تقليد لهجته
-و لماذا يا سيد لابرينث أيمكنك أن تشرح لي ؟
-الأمر معقد قليلا ، رغم ما يبدو عليه من بساطة ، فعندما تنظر لهذه المناظر من بعيد تتمنى لو كنت فيها ، هذا يتمناه العديد من سكان
المدينة،
لكن لن يستطيعو ذالك، لأنهم أبناء المدينة ولدو و ترعرعو فيها .

وما إن يقومو باللبيث في مكان منعزل كهذا، حتى يصيبهم الملل و الإحساس بالوحدة .
-لكن إذا كان لديهم من يشاركهم المسكن ..مثلا زوجان سعيدان يحبان العزلة ، إذا انتقلا هنا سيعجبهم الأمر .
-سيعجبه في بادئ الأمر شهر أو شهران بعدها ، سيصيبهما الملل و القنط ..لكن هناك حالة واحدة يمكن فيها أن يعتاد الإنسان إلى حد ما
مثل هذه الأمكنة .
قاطعته ستيلا لتكمل جملته
- أن يلده أبواه هنا، فيفتح عيناه منذ أول مرة في هذا المحيط.
- تماما .
تبادلا الإبتسامات . ثم عادت ستيلا بعينيها إلى ما خارج النافذة ثم انحنت بظهرها إلى جانب لابرينث و ألقت برأسها على كتفه ، و قالت
بسرحان باد على وجهها .
- لكن الأمر فعلا يستحق المحاولة .
تفاجئ لابرينث ، لكنه لم يحرك ساكنا بل تأملها بعينيه الهادئتين ،
كل نظرة إليها يزداد فيها غرقا .
بينما كلما اقتربت ستيلا منه و حادثته، تزداد طمأنينة و رغبة في التشبث به .

توقفت الحافلة ، و قال لابرينث بعد أن نهض من كرسيه مادا يده لستيلا التي لا زالت جالسة
- ها قد وصلنا آنسة ستيلا .
إلتقطت ستيلا يده ، و أخرجها من الحافلة ثم قال : بلدة العم ريتشارد ..الديار .
قالت ستيلا
- إنها أصغر بقليل من مدينتنا الصغيرة ..أو ربما هي بلدة مثلها . لكن لماذا سميت تيمنا بإسم ريتشارد؟
لا بد أن وراء هذا
قصة .
-نعم أنت محقة ، على حسب ما أعلم ، يقول السكان القدامى هنا ، أن أجدادهم قد أنقذو من قبل هذا الرجل خلال أحد الحروب الأهلية
..حيث كانت البلدة مسالمة ..
لكن طيش قائد من جهة أخرى قاده لهنا و أراد أن يعيث فسادا بهذه الأرض.
و قد تدخل العم ريتشارد حيث كان له نفوذ كبير و يحكم العديد من البلدات و الضيعات المجاورة ، أرسل من رجاله من يساند بلدتنا في هذه المحنة و يدافع عنها .
- شهامة بالغة منه.
- نعم.. النفس تميل لمن ينقذها ،هكذا اتخذت البلدة الإسم .

-إذن ،هيا لآخذك في جولة قصيرة بالمكان .
قال لابرينث.
ردت ستيلا
- حسنا ..أنت المرشد و أنا السائحة .
- يعجبك تقمص الأدوار.
- نعم، لكن لغرض أنني أحب أن أفهم الشخص عن طريق تقمص شخصيته .
أردفت
-لماذا تنظر إلي بهذه الطريقة ؟
حسنا ،حسنا ..حتى لو كنت أريد تقمص شخصيتك لن أستطيع.
-لماذا!
-لا أعلم ..لأنك مختلف ..ذو شخصية فريدة .
-لكنك لم تعرفي الكثير عني حتى الآن لتمدحي شخصيتي.
-لا يحتاج المرء لأن يعرف الكثير عن شخص لكي يعرفه على حقيقته.
-كيف يمكن معرفة شخص بسرعة؟
توقفت ستيلا عن السير..وقفت أمام لابرينث بشكل مباشر ،نظرت في عينيه مباشرة حتى شعر لابرينث بقليل من الإرتباك وقالت
-بالنظر
في عينيه و محاولة التعمق في ما تحكيانه.
-و ماذا تحكي لك عيناي ؟
-تحكي الكثير، لكنها ما زالت تخبئ الأكثر.

اقتربت ستيلا أكثر من لابرينث و جعلت المسافة بينهما ضئيلة .
لم يعرف لابرينث ما الذي يحدث ، أصبح يؤرجح عينيه ،لأنها أطالت النظر إليه ، ليس معتادا على مقابلات التحديق هذه، لكنها لم
تتوقف و قالت
- أرى أيضا أنك لا تطيل النظر إلي ، لك مدة معينة تنظر فيها إلي ثم ترجع بصرك.
لم يستطع لابرينث قول شيء ، فتاة مثلها تصيب في استنتاج الكثير .
عادت وقالت
-لم لا تجرب من جديد ..وتطيل النظر لمدة أطول ،إعتبرها مباراة تحديق ، لعلك تهزمني.
أحست أنها وجدت إحدى نقط ضعفه ، و أحست أنها متحكمة بالوضع لما بدا عليه من إرتباك، هي الآن تحاول إصلاح الوضع ،و تتخيل
أنها ستعالجه كأنها اختصاصية،
وهو إحدى مرضاها.
-ماذا تفعلين يا محبة علم النفس ، أتتخيليننني الآن مريضا!
"عجبا، يبدو أنني لست الوحيدة البارعة هنا!"
قالت ستيلا في نفسها.
ردت عليه
- فقط تحداني في مباراة تحديق.

عرف لابرينث أنها تراوغه لكي تتفادى إحراجه أكثر، و أن تهدأ من ارتباكه الواضح .
لكن خطرت له فكرة .
-حسنا ..أنا أقبل التحدي ،لنرى من سيخسر
ردت ستيلا بحس من المرح
- لا يبدو أنني أنا من سيخسر .
بدأت تطول مدة نظرهما لبعضهما ، و تعدت الدقيقة ..التعمق في عيني كل منهما للآخر ، أسكر الحواس ، و أفرغ التفكير، و أنساهما المحيط .
تقليصها للمسافة بينهما و الإقتراب أكثر أعطته عدة دلالات.
ثم في لحظة صمت دون كلمات افتتاحية ..لثم فمها ببطئ .
.إمتزجت فيه الأنفاس و توترت الشفاه .. ثم تراجع .
لتبادر هذه المرة ستيلا و تحيي المشهد كرة أخرى ..بادلها لابرينث تفاعلها فكان هذا هو الأمر لحد الآن .
ليعود الزمن للدوران من حولهما، بعد أن أحسا به من جديد .
أمسكته من يده و واصلا المشي في صمت .
فلم يعد للكلام مقام تلك اللحظة .

أخذ لابرينث بيد ستيلا و أطلعها على الأماكن العامة.
لم يعد يسكن هنا الكثير من الناس، لقد كان تعداد الساكنة هنا يقارب إثنا عشر ألفا عندما كنت هنا..أما الآن فأظن أنه لا يتعدى السبعة آلاف.
-أراك متابعا عن كثب التعديلات الديمغرافية .
-نوعا ما.
بعد صمت قصير ، قالت ستيلا
-لكن أين منزلك ؟ أشعر أنني متعبة قليلا ,و ينتابني الفضول حوله .
-صبرا ، لم يبقى سوى بضع خطوات،و يصبح على مرآنا..
ثم قال بعد لحظات
-و ها هو ..منزلي المتواضع.
المنزل من الخارج كان ذا منظر يوحي بأنه مهتم به جيدا، حجمه ليس صغيرا جدا، الطلاء الأبيض لا زال جيدا، الباب بلون رمادي، لم
تكن هناك حديقة بالفناء الأمامي ، فقط أرض مسطحة .
عندما فتح الباب ، لم ترى ستيلا سوى الظلمة ، لابد أن النوافذ مسدولة الستائر .
أشعل الأضواء من على يمين الباب.
المنزل لم يكن به سوى القليل من الأثاث.

أريكة و تلفاز صغير في الصالة ، تحركت ستيلا بخطوات متأنية، إتجهت نحو المطبخ ، حيث كان أمامها مباشرة ، إنه خال مثل الصالة
،القليل من الأواني تبعث على الاستفسار . لكن لابرينث أجابها قبل أن تتكلم.
- آتي هنا كل شهرين ،أنظف المكان قليلا ،أمكث يوما أو يومان ،أطبخ و أستلقي على الأريكة الصغيرة ،أشاهد التلفاز لساعات.
- كأنها فترة استراحة .
أضاف لجملتها
-و إعادة ذكريات الماضي .
- لا زلت أنتظر منك أن تفصح عن الذكريات.
-تعالي معي.
أخذ بيدها وصعدا الدرج ..
بالطابق الثاني كانت هناك ثلاث غرف ، إثنتان متقابلتان و واحدة بآخر الردهة .
فتح الغرفة التي بآخر الردهة ..
أول ما استقبلت عينا ستيلا بها، هو جدار مليء بالكتب و مكتب و كرسي.
قال لها
-هذه غرفة أبي .

-إنها مليئة بالكتب
-نعم أبي كان محبا للكتب ، و أورثني هذا الحب ..
-لقد توفي قبل ثمان سنوات من الآن .
شعرت ستيلا بالأسى .
- أنا آسفة لسماع هذا .
صمت لابرينث و ظل يحدق بالكتب التي تملأ الجدار المقابل للباب في رفوف منظمة .
كتب و مجلدات و قصص .
و لوحات صغيرة الحجم معلقة هنا و هناك، وصور في إطارها موضوعة بشكل أنيق في أماكن عدة ..إلتقطت ستيلا إحدى الصور و
أخذت تتمعن فيها.
يظهر فيها رجل من المحتمل أنه أبوه ، لأنه جالس على هذا المكتب و يحمل قلما و يبدو منهمكا في كتابة شيء ما.
علق لابرينث على الصورة التي بيدها ،
- كان أبي يحب القراءة و المطالعة في شتى المجالات الأدبية ..تأثر بكتاب كثر و كانت له محاولات عدة في كتابة رواية أو ديوان شعري .
لكنه أخفق بقوة.. يبدو أنه بارع فقط باستهلاك الكتب ..كان طموحه كبيرا ..في أن ينجح بإنتاج عمل إبداعي متكامل ، لكنه ظل يخفق
فالطموح والجد وحدهما لا يكفيان .

أعادت ستيلا الصورة لمكانها ..و أخذت تحدق بأخرى يبدو فيها الأب حاملا إبنه بين ذراعيه رافعا إياه للأعلى و على وجه الأب ابتسامة
كبيرة ..
الصورة يبدو فيها لا يتعدى الخمس سنوات.
إسترسل لابرينث
-كانت علاقتي به جيدة للغاية ، يحبني و يرعاني و يسهر في تنشئتي على خير حال ،يلقنني العلم و الأدب و أنا في سن صغيرة و لا يضغط علي، في ذالك حتى أحببت الكتب .
-لا بد أنه يرى فيك الشخص الذي سيحقق له حلمه.
-أنت سريعة الإستنتاج ، كلامك صائب ، رغم أنه لم يقل لي هذا بشكل مباشر إلا أنه كرس جهده لتحسين تعبيري و إنشائي و أنا في سن
صغيرة .
- لا بد أنك كنت تحبه .
تجاهل لابرينث جملتها و أكمل
- عندما اقترب بلوغي سن الثانية عشرة ، بدأت ألاحظ بوضوح تأزم وضعه ، مكوثه المفرط بغرفة مكتبه ، و خروجه القليل من المنزل
، و جدالاته المتكررة مع أمي ..
ما أذكره جيدا عنه هو أنه لم يكن ذا صحبة أو رفاق .
كان واضحا أنه وحيد، لا يمتلك أحدا سواي و أمي.

كان لابرينث يتحدث ساهيا ، يتحدث و يسكت لحظة كأنه يسترجع فيها صور الماضي بذهنه.
فهمت ستيلا قوة الوضع جيدا ، و لم تجد أحسن من الصمت. و الإنصات باهتمام .
إستمر لابرينث في حديثه
- في آخر أيامه ، إشتد وضعه سوءا و تدهورت حالته ..أصبح لا يخرج من مكتبه مطلقا ، حتى أنه ينام فيه ، كنت أدخل عنده بالطعام..فأراه منكبا على قراءة كتاب ما ،أو ساهيا في السقف و الكتب مبعثرة حوله في كل مكان .
لا أعلم ما الذي سبب له هذه الحالة ،
فالأمر معقد بشكل كبيرة و الأزمات متعددة ،
أنت تدرسين علم النفس ستكونين على دراية ببعضها ..
صباح يوم لا أذكر ما كان و لا أريد أن أتذكر إسم ذالك اليوم.
.إستيقظت على صراخ مرعب.. أسرعت لأرى ما في الأمر فوجدتها على
باب غرفة أبي تصرخ بذعر ،
بدت مرتبكة للغاية و لا تدري ما تفعل ..و لما رأتني صرخت في وجهي بكل قوتها بأن أتراجع و أعود لغرفتي و أن لا أزيد خطوة .
لم أستوعب الأمر في بادئه
حتى وجدته على كل لسان
..أبي قد انتحر.

صعقت ستيلا من الخبر و تحسرت و ارتعبت ، و لم تجد ما تقوله على الإطلاق ..نزلت الدموع من عينيها البنيتين .. دموعا نزلت ببطئ
،دون صوت منها، نظرت باتجاهه ، لم تكن على وجهه دموع او علامات حزن بليغ.
بل كان ساهيا ينظر بثبات لكنه في الحقيقة لاينظر لشيء .
.و ملامحه جامدة متصلبة بها لمسة أسى ..
إنها نفس الملامح التي كانت تبدو
على وجهه أول مرة رأته فيها .
تلك الملامح الثابتة التي تميز وجهه عن باقي الوجوه ..لم تستطع ستيلا ترجمة ما يشعر به من ما يبدو عليه .
يبدو أنه شخص قد استهلك
كل دموعه منذ زمن أو لم يملك خزانا منها مطلقا .
لكنها أحست بأنه يتألم من الداخل .
سمع تنهيداتها وسط الصمت الذي يعم المكان .
فنظر إليها و إلى دموعها الساخنة على وجنتيها .
حرك يده و مسح بأطراف أصابعه دموعها من على وجهها .
لم يستطع أحد منهما الحديث ، صمت و حزن و سر أفشي للتو .
و عناق هادئ و طويل هو كل ما حدث بعد ذالك.

-هيا لنخرج من هنا ، سوف أطلعك على غرفة طفولتي .
قال لابرينث في محاولة لتلطيف الجو.
أخرجها من الغرفة و ذهب للغرفتين المتقابليتن فتح التي على اليمين ..لم يكن بها شيء غرفة صغيرة بها نافذة في الوسط، خالية بلا أثاث، لكن جدرانها كانت تحكي الكثير .
كانت مصبوغة بألوان زرقاء متدرجة و منقوشة بكلمات باللون الأصفر تعم كل ركن منها ..
كلمات من قبيل ..روح، طموح ، خيال، حب ، صداقة، جمال، تفاؤل ، أحلام...
تعم مثل هذه الكلمات الجدران الأربعة .، بالإضافة إلى اقتباسات و جمل قصيرة تحفيزية بالسقف، أعلى الجدران .
"أنت شيء كبير" "تفائل بالنجاح و اسعى إليه جاهدا"
"الحياة مليئة باللحظات الجميلة الحاضرة و القادمة"
بلغت الرسالة مبلغها في عقل ستيلا ..
أن الأب لا يريد لإبنه سوى أن يكون أفضل منه بمراحل و يحقق كل ما لم يحققه، و أن الأب يريد
لإبنه تربية أحسن من التي تلقاها .
منهجا أفضل من الذي كبر عليه.. نجاحا و تألقا.
لكن هل فعلا ما زال الإبن يحمل تلك المبادئ!

-غرفة جميلة ..تدعو للتفاؤل و إلى كل ما هو جميل ، الآن علمت من أين لك كل تلك الأخلاق و المبادئ .
كنت تسيتقظ على رؤيتها كل
صباح في كل مكان من غرفة ، جميع صفات البشر الجميلة.
قالت ستيلا .
أخذ يتمعن في الكلمات و يتذكر الأيام الخوالي، ثم قال :
-نعم يمكنك قول هذا ، كلمات رسخت، و كلمات أعيد النظر فيها بمرور الزمن.
-لا بد أن أباك قد أحبك كثيرا.
فكر لابرينث في نفسه بعد سماعه الجملة الأخيرة و ما تتضمنه بشكل عميق بالنسبة له ، هو لا يلوم أباه لأنه رحل و تركه، هو يؤمن أن
لكل شخص الحق في الرحيل متى شاء، لا يريد له أن يتعذب أكثر من ما كان عليه فقط ليبقى بجانب إبنه و يسانده،يعرف أنه أحبه كل
الحب عندما كان حيا ، لكنه رحل ..
لأن الإنسان لا يخلو من لحظات ضعف تغفله فجأة ثم تهوي على رقبته .
إنها معركة غير عادلة ، فدائما ما تأتي المحن في أوقات الغبطة و تقتل الإنسان بينما حواسه لا تتحمل ذالك الضغط و التقلب المفاجئ .

لم تقاطع ستيلا حبل أفكاره، بل تركته يفكر و يسترجع الماضي.
لأنها تفهمته و أحست قليلا بحزنه الدفين .
إستدرك لابرينث الموقف و عاد من آبار أفكاره.
- آسف على شرودي المتكرر.
- لا عليك..
- إذن أظن أنك جائعة .
- كأنك قرأت أفكار معدتي .
ضحك لابرينث و قال
لو كان للمعدة أفكار لإنتهى أمرنا منذ زمن .
ردت ستيلا في مزاح
-لثارت على الدماغ و طالبت بالحرية في الاختيار .
- إذن تعالي نطعمها قبل أن تفعل ذالك.
نزلا الدرج و اتجها نحو الصالة ..
- هل تجيدين الطبخ ..
أو لنأخذ الطعام جاهزا .
- ستكون فكرة رائعة لو طبخنا هنا بالمنزل.
- أنت تشاركينني الأفكار .
ابتسمت ستيلا
- نعم هناك صلة .
- حسنا ماذا ستطبخين ؟
و سأحظر اللوازم من محل البقالة.
- تقصد ماذا سنطبخ؟

ضحك لابرينث
- حسنا إذن ..ليكن الأمر هكذا.
- إجلب بعض السمك سنقليه و سنضيف له خضروات.
- حاضر آنستي، سأذهب و أعود في الحال.
إنطلق لابرينث و أغلق الباب من وراءه ، كانت ستيلا بالمطبخ الفارغ إلا من بضع الأواني ، خرجت من المطبخ إلى الصالة،لم يكن فيها
شيء سوى أريكة طويلة بلون أزرق غامق مقابلة لتلفاز صغير قديم بلون أسود و بني ،
و تحت التلفاز جهاز "دي في دي" و بعض الأقراص المدمجة .
تفحصتها قليلا ثم انتابها الفضول لتتفقد غرفة بجانب السلالم ،
بابها مغلق، حاولت فتحه لكنه كان موصدا،
ثم تذكرت أن لابرينث نسي مجموعة مفاتيحه بالمطبخ.

أسرعت ستيلا في تفحص الصندوق ، حاولت قراءة الرسائل، لكنها بدت كثيرة ، أما الصور فكانت عادية ، صور للأسرة مجموعة ، وصور فردية للابرينث عندما كان صغيرا .
لكن، شد انتباهها وثيقة رسمية مطوية و مزروعة بين الرسائل .. إنها وثيقة طبية تخص لابرينث .
الوثيقة كانت كانت من حجم كبير و الكتابة بها كانت صغيرة الحجم عل الواجهتين ، لذا بدأت تقرأ بسرعة و تتجاوز الأسطر و
تتوقف عند الكلمات المهمة .
فوقعت عيناها ..على كلمة "إكتئاب"..و "محاولة إنتحار" ..و "إنعزال" ..و "إضطراب ما بعد الصدمة" و العديد من الكلمات من نفس
النوع .
إستنتجت ستيلا في الأخير أن لابرينث تم تشخيصه بمرض الإكتئاب و أنه يعاني من إضطرابات نفسية و أنه حاول الإنتحار مرة.
و أنها
لا تعلم إذا ما يزال مريضا ..
فالوثيقة له و هو في عمر الثالثة عشرة .
صدمت من ما قرأت ،و قالت في نفسها
"كنت أعلم أن وراء ذالك الغموض شيئا ."
في نفس الوقت أنبها ضميرها لأنها تتفحص ما لا يخصها.

أعادت كل شيء للصندوق بسرعة ..و عندما همت بإقفاله ، سمعت دقات على الباب ، إرتبكت و أسرعت باقفال الصندوق و يداها
ترتجفان ،
ثم خرجت بسرعة و أقفلت الغرفة ، و الدقات على الباب من جديد،
عادت جريا للمطبخ و هي تقول
-أنا قادمة .
أرجعت المفاتيح لمكانها ، ثم عادت للباب ففتحته .
كان لابرينث مثقلا بكيسين من البقالة .
ما إن فتحت له ستيلا الباب و أقبل ينظر لوجهها ، حتى انبهر من جديد بإشراق وجهها المتجدد كل مرة ،
كأن وجهها يعكس نور الشمس ،
قال في نفسه
"أتمنى أن يفتح الباب على هذا الوجه كل يوم !"

جلسا معا على الأريكة الوحيدة بالمنزل و الطعام أمامهما فوق طاولة قد غطوها ببعض الجرائد .
الغذاء كان سمكا مقليا و بطاطس مقلية و سلطة فواكه و مشروبات غازية.
- لم أكن أعرف أنك طباخة ماهرة
- لست ماهرة حقا،
فقط أجيد بعض الأطباق و هذا واحد منها .
و أنت لم أكن أعرف بأنك سيء لهذا الحد في تقطيع الخضار.
- قد أخبرتك منذ البداية ، أنني سيء .
- لكنك بدلت مجهودا يحترم
و في خضم ضحكتها الخفيفة ، قال .
- ستيلا!
- نعم
- لماذا لم تخافي المجيء معي ، رغم أنني ، لم أعرفك سوى منذ أيام قليلة؟
صمتت قليلا ، و توقفت عن الأكل ، عدلت من وضعها على الأريكة ثم قالت
- لأنك لا تحتاج قضاء الكثير من الوقت مع شخص لتعرف أنه المناسب .

وهل أنا مناسب لك؟
- نعم ، مناسب.
- لكن لا أظن أنني قد أكون مناسبا لك كصديق .
عرفت ستيلا ما يرمي إليه ، إبتسمت ابتسامة خجولة ،
وعادت لأكلها ، قد شبعت ، لكنها فقط تتظاهر بأنها تأكل، و تنظر
، للتلفاز رغم انه غير مشتغل. فقالت
- هل هذا التلفاز لا زال صالحا؟
- نعم.. بالطبع
نهض من مكانه و ذهب لتشغيل التلفاز، أدخل القابس ، و شغل
جهاز ال "دي في دي " ثم أتى لها بمجموعة صغيرة من
الأقراص
المدمجة ..
- إختاري واحدا .
أغمضت عيناها و أشارت إلى واحد منها .
خاطبها مازحا
- لم يكن من الضروري إغماض عينيك.
أجابت و هي تضحك
- أعرف ، أردت فقط إضافة القليل من التشويق .
- ليكن في علمك أنها أفلام قديمة ،
لن تكون مشوقة بالحد الكبير .

الفيلم كان ذا قصة رومانسية ،
عن رجل فلاح و امرأة تنتمي لطبقة غنية ..
ستيلا على يسار الأريكة غير بعيدة عن لابرينث كل منهما ليس متابعا للفيلم بكامل تركيزه.
كل منهما يخطف نظرات للآخر .
ثم جاء مشهد يقبل فيه البطل البطلة ، حينما أتت إليه مسرعة من منزلها هاربة .
إقتربت عندها ستيلا من لابرينث ..أكثر فأكثر ، ثم استلقت على كتفه ببطئ ، أحس لابرينث بشعرها الدافئ على ساعده الأيسر و على صدره .
هي أحست بالأمان معه ، أحست بأنه يحتويها بهدوءه و يأسرها بابتسامته الأنيقة ، بأنه لن يناسبها غيره .
هو أحس بأنها تجعل منه شخصا أسعد و أفضل، بأن صداع أفكاره يهدئ ، بأنها له دواء من نوع آخر .
ألقى يده على رأسها ، يتحسس شعرها و يداعب خصلاته .
أحست بملمس أنامله فازدادت ارتياحا ،
رفعت رأسها ، و نظرت في عينيه مباشرة
نظر إليها و قال
- إن كانت مباراة تحديق أخرى..
قاطعته و قبلت شفتيه في بغثة ..

قبلة خفيفة على الشفتين و قوية المضمون ، قد أوصلت العديد من المشاعر و الإعترافات .
تفاجئ لابرينث من أن يأتي هذا منها ..
لم تزح ستيلا نظرها عنه ، بل بقيت تنظر إليه، عرف أنها تعطيه إشارة للقيام بردة فعل.
قبلها قبلة
مطولةحارة و بادلته الفعل،
فجأة أطلقا العنان لنفسيهما، يتبادلان القبل في الفم و العنق ..
يمسك وجهها بين يديه و هي متشبثة بمؤخرة عنقه ..و من يأبه للفيلم الآن ،
فالمشهد أصبح على أرض الواقع .
الملابس على الجسد بدأت تخف ، لم يبقى سوى القليل منها ، الأريكة ستكون مسرح حب ، التلفاز العتيق سيشهد على هذه اللحظات الخالدة .
- لابرينث!
- نعم
- أحبك .
صمت قليلا ثم قال
- أنا أيضا..أحبك.

استيقظ لابرينث على جو صباحي جميل ، يمثل ما في الربيع من جمال .
مرت ثلاثة أيام على السفر مع ستيلا ، و الرسالة آتية من عندها
" عزيزي لابرينث
أتمنى فعلا لو كان لك هاتف ، لا أعلم ما السبب وراء هذا الضبط السلوكي الصارم ، لكنني اشتقت للحديث معك ، و أحب أن أقابلك ،
لذا سيكون المكان هذه المرة من اختياري ، اللقاء سيكون اليوم مساءا ، هذا كل ما أستطيع قوله لك .
مع حبي
ستيلا"
استغرب بعد قراءته للرسالة ..كيف لم تذكر المكان ولا الساعة بشكل محدد، لا شك أنها قد ترسل رسالة أخرى .
شرب قهوته الصباحية التي أعدتها له أمه ، و إستعد ليوم عادي .

عاد مساءا من العمل على الساعة الحادية عشرة ، منهيا دوامه من العمل، فإذا به يتفاجئ بعد دخوله .
- ستيلا!
أجابته ملتفتة له
- و أخيرا .
- ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت المتأخر ؟
- ليس هذا ما يجب ان تقلق حوله، فكما تعلم قد اخترت الزمن و المكان .
كانت ستيلا و أم لابرينث مجتمعتين على الأريكة يتحادثان و يشربان حليبا ساخنا .
لم يجد لابرينث ما يقول بعد كلام ستيلا ، فأردفت
- لم أكن اعلم أنك تمتلك أما رائعة .
- حقا !
جلس لابرينث معهما بكرسي قريب من الأريكة.
قالت أمه
- و أنا لم أكن أعلم أن له صديقة ، لكنني لست متفاجئة فهذه عادة إبني، فهو لا يفصح على الكثير .
قالت ستيلا
- أوافقك الرأي سيدة صوفيا .
قال لابرينث : كنت أنوي إخبارك يا أمي .
- لا عليك
إذن هل أنت جائع ؟
- لا، أريد فقط أن آخذ حماما سريعا.

أكملت السيدة صوفيا و ستيلا أحاديثهما الشيقة ، بينما أخذ لابرينث حماما سريعا وعاد لهما ، فقالت الأم
- سأترككما لوحدكما و سأعد المزيد من الحليب.
أخذها لابرينث من يدها و ذهب بها لغرفته بالطابق العلوي، و أغلق الباب .
- أليس الوقت متأخرا ، ماذا ستقولين لأمك و أبيك؟
- لا تقلق شرحت لهما الأمر و أنني سأعود بحلول منتصف الليل .
- كذبتي عليهما، لا شك في هذا
صمتت ستيلا قليلا
- حسنا قليلا ، قلت صديقتي ..
قاطعها لابرينث بتضجر ،
- يا لك من طائشة ، ما فعلته ليس جيدا .
صمتت ستيلا و خفضت من رأسها و هي تبتسم ثم قالت
- محظوظة أنك تهتم لأمري
- بالطبع أفعل و...
قاطعته
- إشتقت لك

بوغث لابريث و لم يجد ما يقول . فتابعت بمكر
-ألم تشتق لي ؟
- بالطبع يا حمقاء ، ما هذا السؤال ، فقط أري ..
باغثته من جديد ، هذه المرة بقبلة أخرسته .
و بنظرات جذابة و ابتسامة ساحرة ، في غرفة مغلقة .
لم يعد هناك مجال للكلام ، فالكلام ليس ناجعا في مثل هكذا لحظات .

مع اقتراب منتصف الليل ، قررت ستيلا و هي مستلقية في حضن لابرينث بالسرير أن تفصح له .
- بالحديث عن قيمة الصراحة كمبدأ ، فإني أريد إخبارك بشيء
- حسنا ..
- إني معتلة صحيا و أتعاطى بسبب ذالك أدوية.
اعتدل لابرينث و استوى جالسا و قال باهتمام و قلق
- ماذا تقصدين ؟
أجابت ستيلا بهدوء و وضوح بصوت خفيض
- عندي ضعف بالقلب ، أعاني من هذا منذ صغري ، و أتعاطى أدوية لأبقى صامدة .
لم أرد أن أؤجل الأمر أكثر من هذا،
كي لا تلومني على عدم قولي الحقيقة .
صمتت قليلا و نظرت بعيني لابرينث الذي بدا حزينا ثم استأنفت
-و قبل يوم يوم أمس ، أي يوم الإثنين، قد نقلت للمستشفى، لأنني
عانيت من أعراض تعب مزعجة و انخفاض في ضربات القلب .
صدمه الخبر ، و انفتحت عيناه قدر المستطاع ..

بعد لومها على عدم قولها هذا ليأتي للمستشفى و يراها، قال
- وهل لهذا الضعف علاج تام ؟
- لا، بل له فقط أدوية تحافظ على التوازن ، أما إن أردت لقلبي أن يكون قويا كباقي قلوب الناس، فعلي أن أستبدله كما قال الأطباء .
قالتها بنبرة من السخرية و الاستهزاء .
لم يجد ما يقوله للمواساة .
لكنه أحس بشيء غامض ، بأحس بأن الأمور لن تكون على خير ما يرام ، نزعته التشاؤمية قد عادت ،
و
شيء بداخله يقول له أن الأوضاع السعيدة لن تطول .
لاحظت ستيلا صمته و شروده . فقالت بنبرة حزينة
- أردت فقط أن أصارحك منذ البداية ، كي لا تعتبر انني أخفي عنك سرا .
لاحظ لابرينث نبرتها الحزينة ،
قال
- حسنا إن كنت تتوقعين أنني سأتركك بعد صراحتك هذه ، فتهانينا ، أنت مخطئة ، فقد ازداد تعلقي بك لتو .
نظرت إليه ستيلا مبتسمة ابتسامة تصارع الحزن .
أخذها بين ذراعيه يعانقها عناقا يثبت تشبثه و مواساته، و يحل محل الكلام .

تذكر و هو يعانقها أمر الحقيبة الصغيرة التي كادت أن تنساها فذكرتها بها أمها يوم رحلتهما ، لا بد أنها كانت الأدوية ما بداخلها .
قال لها لابرينث
- إن أردت يوما استعارة قلبي فقط أخبريني .
ضحكت ستيلا ، و قالت تمازحه
- حسنا، ربما قد أفعل ، و عندما سأفعل فربما آخذه بالقوة ،رغما عنك.
- إذن من المجرم هنا ؟
ضحكت من جديد ، و قد رفعت رأسها تنظر إليه ،بتأمل .
فقال في نفسها
" حقا ، إنني وجدت حب حياتي المناسب ، منذ أول تجربة ، لا بد أنني محظوظة.. على الأقل في الآخر ."

بعد أسبوع ، تفاجئ لابرينث بأن ستيلا لم ترسل له أي رسالة منذ أيام...
دقات على الباب ، تفتح أنجلينا الباب، فتجد لابرينث عند الباب..
- مرحبا سيدة أنجلينا
- أوه أهلا ، بك لابرينث ، كيف حالك ؟
- بخير ، شكرا لك .
- لا بد أنك تسأل عن ستيلا.
- نعم سيدتي.
- تعال لنتحدث قليلا .
وجهته إلى الفناء الأمامي و طلبت منه الجلوس على مقعد مستطيل قصير و جاورته القعود .
- أعلم أن الأمر قد يبدو صعبا أن تسمعه ، لكن ستيلا مريضة للغاية ، لديها مرض عضال بالقلب ، و هي تعاني ، الأطباء.. يقولون
بأنه ليس هنالك من كبير أمل يعقد على حالتها.
رفع عينيه للسيدة حينما سمع شهقات ، رأى دموعها تنهمر ،
بغزارة و حرقة، و صوت أنين مؤلم.
تابعت و هي تكبت قدر ما استطاعت
-أرى يا بني أن علاقتكما الجديدة مفعمة بالحب و الشباب و آسفة لإخبارك بهذا،
- لكن اضطررت لإخبارك..

عم صمت ثقيل ، لا يكسره سوى أنين المرأة ،
و صراخ تفكير لابرينث العنيف ، لم يكن يظن أن الأمر سيء لهذا الحد .
و كيف لهذا أن يحدث له بهذه الصورة !و و كيف بهذه السرعة
يهدم ما علق عليه آمالاه!
-هل أستطيع رؤيتها الآن ؟
-آسفة لكن تصر بشدة على أن لا ترى أحدا، كما أنها مرهقة جدا و لا بد أنها نائمة الآن .
أصرت إصرارا ، لا نستطيع أن نعارضه على الإطلاق.
أحنى رأسه في حزن و هوان و لم يزد شيئا .
قالت السيدة
-كما تعلم ، ستيلا فتاة متافئلة جدا و هي لا تريد أحدا أن يراها على غير ذالك.
أحس لابرينث بأنه لا يريد سماع المزيد، فانتظرها إلى أن تنهي كلامها .
إعتذر للسيدة أنجلينا و عاد أدراجه مثقلا بخبر ، هادم و محطم.

وحيدا بغرفته يصارع عقله المشوش ، و كيف يذهب كل ما يأتي حلوا مفرحا ، كيف أنه صباح اليوم انطلق سعيدا على غير عادته ،
حاملا مفاجأة لها و له ،بالأخص له لأنه سيشرع بتحقيق ما عجز عنه أبوه.
سيشرع في كتابة رواية ، و بعقله يحفظ كل الأحداث و الشخصيات.
فكر لكل شيء بها و خطط لكل شيء فيها ، و سيبدأ لما لاقاه من تحفيز من ستيلا و ما أبدته من اهتمام عندما زارته المرات
المتتالية بغرفته و كيف أصرت يوم أخذت بيده في طبيعة السهل الأخضر و قالت : العالم يحتاج لكاتب مثلك.
كيف أطلعها على أسراره، على آماله ، و الآن هي تتركه بعد أن اقتحمت حياته الشبه ميتة!
الآن هو على موعد مع الموت و حتميته من جديد، ليس لديه شيء يفعله سوى الإستعداد، لتلقي الصفعة القوية ،
ربما على مسمع مباشر ، أو ربما على الهاتف الذي أقنعته ستيلا بشراءه بإلحاح ، لعله يتواصل فيه مع دور النشر و الناشرين بالقريب
العاجل .
آمال ، أحياها الحب و بناها بسرعة و سلاسة غريبة ، تركت إحساسا بالريبة و أن الأمور لن تبقى بخير ..
لطالما خبأ لابرينث هذا
الشعور و قمعه .
لكن العاصفة الآن على مقربة.

يتسائل. لابرينث ، لمذا الأمر سريع إلى هذا الحد ، و لمذا الموت تواق لسلبه من يتعلق بهم!
و كيف له أن يستمر الآن بعد أن اختلت كل موازينه؟
كيف سيستطيع تلقي مثل هذه الصدمة من جديد!
هل سيسمعها من جديد على أفواه الناس ،
و ينتقل من جديد هاربا من ما يخلفه لؤم الموت كما فعل من قبل هو و أمه .
أم يندفع و يواجه الموت و يقابله و يهبه نفسه دون ضحايا جدد!

بعد مرور يومين ..
يأتي لابرينث من الجنازة ، و يدخل لغرفته و يقفل الباب ،
عيناه تبدوان كأنهما لم يخرجا دموعا من قبل طيلة ما
عاشه في حياته المؤلمة حتى الآن..
تفكيره يرهق و يخدر كل أعضائه و وصاله.
ذهب ببطئ لدرج مكتبه و أخرج مسودته ..
على الصفحة هناك كلمة "آمال " مكتوبة بخط كبير تبدو أنها
عنوان ما يكتبه ..
أخذ القلم و أضاف بجوارها كلمة "خيبات" بخط كبير مساو
للكلمة الأولى .
فأصبح العنوان الجديد "آمال و خيبات " ، تمعن في العنوان
قليلا ، ثم نظر مطولا لكرسيه المعتاد و لباب الغرفة ، غرق
في تأمل
الجمادين ،
فكر و فكر ...
وقف فوق الكرسي و قاس الباب و أقام التوقعات..
لكن فضل أن يفتح الغرفة ، و ينادي على الوحيدة التي
يملك، و عانقها بقوة ، كما لم يفعل قبل ، و ذرف الدمع بقوة
قدر ما يستطيع ..
حتى
عادت عيناه لما كانت عليه من قبل
إلى ذالك الهدوء الغامض .

الرسائل غير المقروءة

عزيزتي ستيلا
أكتب لك .
وأعلم أنك لن تقرئي هذه الرسالة،
أعلم أن الثرى وارتك، أعلم أنك رحلت، وربما لن ألقاك مجددا، طبعا لا تبدو لي جملة سنلتقي مجددا في مكان آخر سوى ترويح عن النفس.. لكن من يدري.. كل شيء ممكن!
هذا ما علمتني إياه..
"التفاؤل" حتى و لو بدا الأمر خرافيا، كنت أخفي عنك أنني بدأت أؤمن بمبادئك تدريجيا.
أشياء قليلة تركتها لي بعد رسائلك الورقية
ألاحظتي الآن لماذا لم أكن أستعمل الهاتف، و كنت أطلب منك مراسلتي ورقيا كعهد الأيام الجميلة، لكي أشتم عبق جمالك من خلال أوراقك المرسلة الظريفة.. لكي أنظر لروحك المرحة بين الأسطر و الكلمات بخطك المتعرج الإنسيابي الذي يتفوق على خطي بعصور.
أتعلمين يا عزيزتي أنني تعلمت كيف أعانق و أصبحت أعانق رسائلك كل يوم، و يحزنني أنني تعلمت العناق بعد رحيلك.

كنت أطمح للموت يوما بدافع الفضول، لكن بشكل شخصي.
أما الآن فأرى أنه يعكس أمنيتي و يذهب بكل من ألمس، و يفطر قلبي المدهوس. يقسو عليه من دون رحمة. حتى ولو كان قد رحل مع رحيلك.
لا أفهم لماذا أصبحت الآن أعبر بشكل أفضل و أكثر طلاقة عن مشاعري!
نعم أعلم أنه شيء إيجابي بالنسبة لك، لكنه شيء يزعجني بشدة!
لماذا تأتي الأشياء الجيدة دائما متأخرة!
أو ربما هي لم تأتي أصلا،
ربما إنني أعبر عن ما يخالجني فقط لأنني أعلم أنك لن تقرأي ما أكتب.
آه دعيك من هراء كلامي المتشائم يا ستيلا!
لكنني اشتقت لكلماتك الموجهة لي كلما عبرت عن تشاؤمي بشكل غير مقصود.
و أنا الآن نادم على كل لحظة أضعتها دون أن أراك فيها.
لعله كان علي أن أستعمل التكنولوجيا اللعينة و لو لمرة، لأسهو ليلة أنظر لملامحك في مكالمة من الجانب الآخر.

وأخيرا أعلم أن ليس لي سوى تمني رجوعك المستحيل
و الغضب من رحيلك المفاجئ و الحزن من تركي وحدي
و الحقد على الموت.
و الخضوع... لسيرورة حياة قاسية.
مع حبي المتشائم

لابرينث.

عزيزتي ستيلا،
ها أنا أكتب لك من جديد ، و أعلم ما كنت أعلمه من قبل .
لكن أريد أن أكتب متخيلا أنك ستقرأين ما أكتب .
مرت ست أشهر منذ رحيلك،
لذا، أريد أن أطلعك على ما حدث لي، في ما مر من هذا الزمن.
لقد توفيت أمي، الشهر الماضي ،
لا أذكر اليوم الذي توفيت فيه بالضبط ، و أنت تعلمين لماذا لا أفعل، تعلمين أنني أكره تذكر الأيام المأساوية .
لقد انتحرت أمي.
و الأسباب لا أعرفها ، فأنا لم أكن أحادثها كثيرا ، لذا لم أكن أعرف أنها كانت تعاني في صمت. تبعت خطا أبي.
و أظن ارتكبت خطأ عدم الإهتمام بأفراد أسرتي للمرة الثانية ، و لأنني كبرت الآن، فاللوم أكبر ، و الذنب أقذر .
و بقيت أنا الوحيد الذي لم يلحق بالسرب،
لأن جناحي قد قصا ، أصبحت جبانا ، و خائفا .
أقلعت عن القهوة السوداء ، إن كان هذا يهمك.
فلم يكن يجيد أحد صنعها أفضل منها.
أو ربما لأنني اعتدت قهوتها.
أكملت كتابي الذي كنت تدعمينني لإنشاءه،
لم يصل لمستوى تطلعاتك.

إنه أكثر سوادا من قهوتي .
لم يحقق شيئا، و لا أحد أحبه ، حرفيا لا أحد .
حتى أنا لم أحببه ، لكنني أفرغت فيه الكثير من سوادي .
كنت أفكر أن أنهي حياتي بعد نشره ، لعله حينها يذيع صيته ، و يصبح الكل يعرفني، و يعرف حياتي البئيسة.
لكن ما الفائدة من هذا ! و في ماذا سيفيدني !
لذا فضلت البقاء.
لا أريد أن أتبعكم الآن، حتى أزداد اشتياقا لكم و بالتالي أزداد حبا لكم ،ثم ألقاكم وحشة ، و ببرودة ولا مبالاة كعادتي .
لقد سلبتكم مني الحياة ، لأنها تريد تعذيبي ، لماذا كل هذه الأنانية!
لذالك سوف أعاندها و و ألومها كل لحظة في ما تبقى لي من حياتي اليابسة ، لأن يداي ضعيفتان لا أستطيع صراعها و لأن اللوم و الكلمات هما كل ما أملك .
مع حبي و شوقي المزداد كل يوم

لابرينث.

النهاية